

# الصَّوْفِيَّةُ وَالْفَقَهُاءُ

في اليمن

تأليف

عبد الله محمد الحبشي

مكتبة الجيل الجديد

صنعاء

# الصُّنُوفُ والفَقَرَاءُ في اليمن

تأليف

عبد الله محمد الحبشي

صفحة المكتبة التاريخية اليمنية

<https://m.facebook.com/Yemeni.historical.library>

١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مقدمة

وبعد فإن إهتمامى بنزاع الصوفية والفقهاء في اليمن وهو موضوع هذا الكتاب مرده إلى سببين .

أولهما : الأهمية العلمية للحصيلة الفكرية التي خلفتها معارك الصراع بين الصوفية والفقهاء في اليمن إذ أن أبطال هذه المعارك كانوا من خيار القوم وخاصة الفقهاء المتصوفون منهم تلك المعارك التي اتخذت شكل الفر والكر ولم يدم فيها النصر لهذا الفريق أو ذاك أظهرت معالم النزاع وحددت ملامح القضايا التي دارت فيها حلبة الصراع وصعبت الحصيلة الفكرية من الثقافة بالوان الفقيه والصوفية .

ثانيهما : أن هذا النزاع غطى فترة زمنية ليست بالقصيرة في تاريخ اليمن والذي أعطى هذا الجانب أهمية أن آثار هذا النزاع لم تقتصر على النواحي الفكرية فحسب وإنما تعدتها إلى الناحية السياسية ذلك لأن الولاة كانوا هم قادة هذه المعارك وكان موقعهم هو الذي يرجح هذا الفريق أو ذاك وإلى لارجو أن الون بهذا الجهد المتواضع قد أسهمت في إعطاء صورة وإن كانت مختصرة عن ذلك الصراع وإبطاله وآثاره كما أرجو من الله أن يوفقني ويوفق



غير العودة إلى هذا الموضوع وإعطائه الأهمية التي يستحقها من القراءة  
والنحس واستخلاص ما يفيد هذه الأمة ويعمق جوارحها لكي تنطلق إلى  
المستقبل بفكر ورعي وأصالة تقيها من مآوى الانزلاق والتردى في أعمال  
التقليد الأعمى ولا أنسى بهذه المناسبة أن أشكر مكتبة الجيل الجديد للفراء  
لما بذلته من جهد في سبيل طبع هذه الدراسة للتواضعة وإخراجها إلى حيز  
الوجود راجيا المولى أن ينفع بها .

وأخردعونا إن الحمد لله رب العالمين

المؤلف

## فهرس أبواب الكتاب الرئيسية

- ١ — في التصوف اليمني وتاريخه .
- ٢ — مدرسة ابن عربي في التصوف اليمني .
- ٣ — النزاع بين الفقهاء والصوفية في اليمن .
- ٤ — أحداث النزاع التاريخية .

# في التصوف اليمني وتاريخه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## تاريخ التصوف من خلال أعلامه

دخل التصوف الإسلامي اليمن من خلال الزهد الذي دعا إليه الإسلام وكتابه العظيم وقد كان التصوف نتيجة حتمية لما انتهى إليه القوم من الإغراق في العبادة والتقشف . هل أننا لا نريد أن نعود بالتصوف في اليمن إلى أصول ترجع إلى ما قبل الإسلام كما هي العادة عند أكثر الباحثين في مثل هذه الدراسات، إذ التصوف إذا كان من حيث هو زهد وعبادة وتقشف فهو معروف عند أكثر الأمم وهو من حيث مادته ظاهرة إنسانية عامة لا تنفرد بها أمة من دون أمة . وإنما نغني بالتصوف هنا هذا الذي وصلنا في صورته الإسلامية بما له من أتباع وتقاليد وآداب .

وقد كانت البداية للتصوف في اليمن بداية بدوها التعميم والشمول فلا نستطيع أن نحصرها في شخص واحد نسميه بصيغة التصوف وإنما هي في صفة جماعية يشترك فيها كثير من القوم . وقد تفحصت صبغة التصوف خلال القرن الأول الإسلامي وكان أهل اليمن هم أكثر الناس معرفة لحقيقة الإسلام وما أتى من أخلاق تركت آثارها في نفس المسلم اليمني ولا غرابة في ذلك وقد تفرس رسول البشرية هذه الظاهرة في أهل اليمن فقال ( أناكم أهل اليمن هم ألين قلوباً

وارق أخته الايمان بمان والحكمة بمايه (١) وهذه الرقة التي عندها الرسول  
صل الله عليه وسلم هي بكرة التصوف في النفس البشرية .

ومع كثرة المتصرفين من الرهبان الاول في اليمن سنكون مضطرين الى تبين  
بعض الأشخاص - حتى لا يطول البحث - فمن هؤلاء جماعة من الصحابة رضوان  
الله عليهم من الذين يرجعون بأنسابهم الى اصول بنية كافي موسى الاشعري الذي  
ولد ببادي زيد وكان من زعمه وعبادته أنه ساهل معاذين جبل كيف تقرأ  
القرآن فقال أفرؤه في صلاتي وعلى راحتي ومضطجعاً وقائماً وقاعداً أقوته  
فرباً (٢) . ويقال أنه صام حتى أصبح كأنه خلال فليل له لو أرحمت نفسك فقال  
ميتاً إنما يسبق من الخيل المضرة . ومن وعظه قوله ( أيها الناس أبكوا فان  
لم تبكوا فتبكوا فان أمل النار سيكون الدموع حتى تقطع ثم سيكون الدماء  
حتى لو أرسلت فيها السفن لجرت ) توفي رضي الله عنه سنة ٤٤ هـ .

ومن زهاد اليمن في عصر الصحابة الصحابي الجليل أبو هريرة عبد الرحمن  
ابن صخر كان من دؤوس وولده باليمن ونقلاً بتمبا فرحل الى المدينة ولحق النبي  
صل الله عليه وسلم وكان يقول ( كنت اعتمد بكبدى على الأرض من الجوع  
والى كنت أشد على بطن من الجوع ) وقد ظلت نزعة العبادة والزهد ملازمة  
له حتى آخر أيامه ومن طريق ما يذكره أنه ولده عمر بن عبد العزيز على  
لحاجة البحرين ثم رآه ابن المبركة مغفولاً بالعبادة فعزله وطلبه بعد زمن من  
الزول وتوفي سنة ٨٩ هـ (٣) .

(١) أنظر هذا الحديث وتخرجه في تاريخ سنه الرازي ص (٦) ( هاشم ) .

(٢) أبو الفرج ابن الجوزي : صفة الصفوة .

(٣) إراجع له ترجمته كتاب . تاريخ سنه أعلام النبلاء للذهبي مرآة الجنان لبياسي  
وفيها .

وبأنى يمد طبقة الصحابة جماعة من الأخيار افتقروا آثار السلف حتى سموا  
بالتابعين لاتباعهم لهم وكان اليمن من هذه الطبقة نصيب وافر من الرجال  
لا يزالون الثبراس المضيء للنسك الاسلامي الخالص في صورته الحقيقية بعيداً عن  
المؤثرات الخارجية . فمن طبقة التابعين عمرو بن ميمون الأودي الذي أدرك  
جماعة من صحابة الرسول ( وكان عابداً زاهداً معدوداً في الاولياء ) ويقال أنه  
سج مائة مرة ما بين حجة وعمره وهو من حضرموت توفي سنة ٧٥ بالكوفة (١)

وعلى رأس هذه الطبقة التابعي الجليل طاووس بن كيسان أشهر رجال  
اليمن في هذه الفترة وقد ترجم له كل من عنى بأخبار الزهاد والأتقياء . وما  
ذكره أنه كان عليه ضريبة يؤديها على أرضه في كل عام فقيل له أن الوالي  
سيرفع عنك الضريبة فقال لهم وهل سيرفعها عن غريمي فقيل له لا فاني ذلك  
فكان يؤديها كل سنة ومن أقواله الوعظية قوله محذراً من السلطان ( لا تنزلك  
حاجتك بمن أغلق دونك أبوابه وجعل عليها حجاباً ولكن أنزلها عن باب مفتوح  
لك الى يوم القيامة ) ومن أقواله ( الاسلام شجرة أصلها الشهادة وثمرها الورع  
ولا خير في شجرة لا ثمر لها ولا خير في إنسان لا ورع له ) . ويؤثر عن طاووس  
البعد عن المذاهب الطارئة كمذهب الخوارج والمعتزلة وغيرهما توفي سنة ١٠٦ هـ (٢)

ومن عباد اليمن وزهادها في هذه الفترة . وهب بن منبه الذي كان من كبار  
التابعين أدرك جماعة من الصحابة ورحل إلى مكة فلقى هناك شهرة واسعة ومن  
أخلاقه التي تدل على علو طبقة في الزهد والعبادة أنه جاءه رجل فقال له أني

(١) ترجمته في طبقات الخوارج ص ١٠٢ .

(٢) أنظر ترجمته في تاريخ سنه ص ٣١٨ وصفة الصفوة ج ٢ ص ١٦٠ والخوارج

ص ٦١ وفيه .

صممت فلاناً يحنك فضيب وقال لم يجد الشيطان رسولا الى غيرك . ويقال انه صلى الصبح بوضوء العشاء عشرين سنة ومن أقواله ( الايمان هربان ولباسه التقوى وزينة الحياء ، توفي سنة ١٢٠ (١) .

ويذكر صاحب تاريخ صنعاء جماعة من زهاد اليمن خلال القرنين الثاني والثالث منهم محمد بن بسطام الصنعاني كان زاعدا يعمل الخوص ويفطر على قرص شعير يخلط معه الرماد إذا عجز فياً كل من عمل يده ذلك القرص ويتصدق بما بقي من عمل يده (٢) .

### في القرن الخامس

في القرن الخامس تطالنا عدة أسماء من أعلام التصوف في اليمن أكثرهم من المناطق المحاذية لناحية تهامة ومدينة تمر كالصوفي الجليل أبو محمد سود بن الكبيسي الذي كان سبب تحوله إلى التصوف حادثة وقعت له فمال إلى التصوف واعتزل الدنيا ( وكانت الدنيا تأتيه من غير قصد وهو مطرح لها ومتخل عنها ولا يأكل إلا مع أصحابه في المسجد توفي سنة ٤٣٦ (٣) .

### القرن السادس

أما في القرن السادس فقد ظهر جماعة من الصوفية عرفوا بالفقه واشتهر شأنهم في كلا المجالين فأنت تجد ترجماتهم في طبقات الفقهاء كما تجد ما في الكتب التي أرخت للصوفية ولا تفسير لهذه الظاهرة سوى أن التصوف ظل مندرجا في

العلوم الإسلامية الأخرى ولم تعرف له تميزا يذكر إلا عندما أصبح له معلمة وشعاراته المتميز بها أصحابه عن سائر أهل المذاهب وذلك في القرن السابع على الرغم من أن الصوفية في خارج اليمن قد بدأوا يتفردون عن سواهم منذ القرن الثالث كما رأينا ذلك في العراق والشام ومصر ، وعمل كل فأما في هذه أسماء من أعلام التصوف في اليمن جمعت بين الفقه والتصوف من هؤلاء زيد بن عبد الله اليفاعي المتوفى سنة ٥١٤ (١) ومنهم عبد الله بن يزيد القسيبي المتوفى ٥٢٦ (٢) وهشام بن عبد الله السري (٣) المتوفى سنة ٥٥٠ هـ بصفه الشرجي بقوله الفقيه العالم الصالح الزاهد الخ . . . ومن أشهر الصوفية في هذا القرن، الصوفي الكبير أبي العباس أحمد بن أبي الحبر الصياد (٤) ، كان في هداية أمره رجلا هامياً من جملة عوام مدينة زبيد فبينما هو نائم في بعض الأوقات إذ أناء آت فقال قم يا صياد فصل ومنذ ذلك الوقت أخذ يترقى في درجات التصوف وصحب الشيخ إبراهيم الفاضل وله أخبار كثيرة في العبادة والزهد من ذلك ما ذكره الشرجي أنه حصلت له غيبة وهو ساجد في بعض البراري فأقام كذلك ساجدا لا يتحرك ولا يشعر بشيء فما أفاق الا وتلفت حينه إلى آخر ما ذكره عنه توفي سنة ٥٧٩ .

### القرن السابع

في هذا القرن نبغ جماعة من صوفية اليمن كان لهم الأثر الجيد في إبراز التصوف وإظهار هويته من بين سائر الطوائف الأخرى في المجتمع اليمني وقد برز

- (١) ترجمته في بن سره ص ١١٩ والجندي والحواس ص ١٢٢ والفقه الشين ج ٤ ص ٤٨٠ .
- (٢) الحواس ص ٧٦ .
- (٣) الحواس ص ١٠٧ .
- (٤) الحواس ص ١٧ والجندي والمزرجي وتاريخ شمر ٤ ورسالة الجنان ج ٤ ص ٣٥٨ وتعليقه إبراهيم بن بشر كتابا في مناقبه .

- (١) له ترجمات في عدة كتب منها المجلد لأبي نعم ج ٤ ص ٧٣ وتاريخ صنعاء للرازي ص ٣٦٧ وصلة المغيرة لابن الجوزي ج ٢ ص ١٦٥ والحواس ص ١٦٣ .
- (٢) الرازي : تاريخ صنعاء ص ٣٠٤ .
- (٣) أنظر ترجمته في الجندي والمزرجي والحواس .



فيه خلال هذه الفترة الصوفي الجليل علي بن عمر بن محمد الاهدل وهو أول  
 المتصوفين من أهل هذا البيت الصغير بنو ابي (١) وقد كان جده الأول قد انتقل  
 من العراق إلى اليمن واستقر بها أما حفيده هذا فقد كان له شأن كبير وقد حثي  
 بأخباره كثير من المؤرخين (٢) ومن رجال هذا القرن من الصوفية عيسى بن إقبال  
 الختار كان صاحب مقامات وكرامات كثيرة وله في الإصلاح الاجتماعي الفقه  
 الكبير توفي سنة ٦٠٦ (٣) ومنهم أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الحكيم عرف  
 بصاحب حواشي وقد رافقه في تصوفه الشيخ محمد بن حسين البجل حتى مرقا  
 صاحب حواشي . توفي سنة ٦١٧ (٤).

### وجبة أعلام هذا القرن من الصوفية هم :

— الصوفي ابراهيم بن علي الفشل اشغل في أول أمره بطلب العلم ثم تحول  
 إلى التصوف فالتفت عنه كرامات وأقوال في التهذيب وعمل يديه في الصوف  
 الشيخ الشيخ أحمد الصياد توفي ٦١٣ (٥).

(١) أنظر ما كتبه حول هذه الأسرة في مجلة العرب العدد ١٦ لسنة ٦ ذي الحجة  
 سنة ١٣٩٥ .

(٢) من مؤلفاته حفيد محمد بن أحمد الأهدل الذي توفي سنة ١٢٩٨ له كتاب بعنوان النهج  
 الأصل في ترجمته الشيخ علي الأهدل طبع في الهند سنة ١٢٨٧ ومنهم عبد الله المكي له كتاب  
 في مناقب خطوط الإمامة الراس وأنظر ترجمته في المندى وطرار أعلام الزمن للشيخ جني  
 ونقطة الزمن للأهدل والمخواس ص ٨٠ وفيه عند المؤرخين أن وفاته سنة ٦٩٠ (أنظر  
 الطود للأولوية ج ١ ص ٢٦٧).

(٣) المخواس ١٠٩ وأنظر ترجمته في المندى وطرار أعلام الزمن ونقطة الزمن .  
 (٤) المخواس وأنظر ترجمته في المندى وطرار أعلام الزمن وتاريخ العلم وطبوط (خطوط)  
 (٥) المخواس ص ٦ وأنظر ترجمته في السكتب المقار لأبيها ساجاً .

— الشيخ جومر بن عبد الله عاش بمدينة عدن وظل شيخه سعد الحداد في  
 مدينة الصوفية وكان أمياً متراضعاً توفي سنة ٦٢٦ (١).

— الشيخ الصوفي الكبير أبو الفيت بن جميل ويلقب شمس المومس كان  
 أصله من الموالي وقد خرج مع رفقة له لقطع الطريق فوكله أحدهم أن يراقب  
 قافلة قادمة فسمع صائفاً يقول له يا صاحب العين عليك العهن فوقع هذا الكلام  
 في نفي وكف عن قطع الطريق وقصته هذه نفي قصة الفضيل بن عياض ثم التحق  
 بالشيخ علي بن أفلح وحكمه في التصوف وهو أشهر صوفية اليمن في ذلك الوقت  
 وقد جمع أحد تلامذته كلامه في مجلد رُغم أنه كان أمياً لا يجيد القراءة ولا الكتابة  
 يقول الشرحي عن هذا الكتاب ( وهو مجموع في قدر مجلد لطيف وعندي  
 لسنة منه ) أما الأهدل فيشك في نسبه إليه توفي بن جميل سنة ٦٥١ (٢).

— الصوفي الكبير أحمد بن حلوان كان أحد أولاد رجال الدولة وتحول إلى  
 طريق التصوف كتب تأمير حادثة عجيبة وقعت له وهو من كبار مشاهير الصوفية  
 في اليمن وإتباعه لا يزالون إلى الآن توفي سنة ٦٥٥ وله مصنفات كثيرة ودعيوان  
 شعر (٣).

أحمد بن الجعد الأيبي عرف في تصوفه بكثرة الرياضة والعبادة توفي سنة ٦٩٠  
 تقريباً (٤).

- (١) المخواس ٤٦ ومرآة الجنان ج ٣ ص ٣٤٧ وتاريخ لفر عدن ٢٩ .
- (٢) أنظر ترجمته في مرآة الجنان ج ٤ ص ١٣٦ والمندى (مخطوط) والعمود  
 الأولوية ج ١ ص ١٠٧ .
- (٣) المندى (مخطوط) والطود الأولوية ج ١ ص ١٦٠ والمخواس ص ١٩ ومرآة  
 الجنان ج ٤ ص ٢٥٧ والتصوف في نهامه ص ٦٩ .
- (٤) المخواس ص ٢٠٦ .

أبو العباس أحمد بن موسى بن هبيل يصفه الشرحى بقوله (التطلب العارف)  
وأطب في ترجمته وإليه تسبب قرية يت الفقيه لأنه كان من الصوفية والفقهاء  
وله مؤلفات في الفقه توفي سنة ٦٩٦ وعند الخزرجي سنة ٦٩٠ (١).

وهؤلاء هم مشاهير القرن السابع الهجري من صوفية اليمن وهناك غيرهم  
من أعلام هذا القرن سيجدهم بإبحث في كتاب الشرحى وغيره من كتب التراجم  
اليمنية .

### القرن الثامن

ظهر في هذا القرن جمع غفير من صوفية اليمن حيث اكتملت فيه كل  
مقومات التصوف ولم يعد الصوفية في هذا القرن متأثرين بعبادات زملائهم من  
الفقهاء بل منهم من لم يكتب بمجرد الزهد والعبادة فدخل في مواجيد والمهمات  
صوفية تقربه إلى الحقل الفلسفي الذي عرفناه عند الحلاج وابن عربي وإضرابهما .  
وسنكتفي هنا بذكر ستة أشخاص فقط لكثرة هؤلاء وتعدد طرقهم منهم .

— أحمد بن عمر الزيلعي القليل عرف بسلطان العارفين واشتغل بالتصوف  
وله فيه مصنف بعنوان نعمة الحقيقة ومرشد السالكين إلى أوضح طريقة (٢)  
توفي سنة (٧٠٤) (٣).

— أبو بكر بن محمد بن يعقوب بن أبي حريفة توفي سنة ٧١٤ (٤).

(١) الجندي مضبوط والعهود المؤولية ج ١ ص ٢٥٧ والمواصص ص ١٣ .  
(٢) مضبوط بالمسكنة الاسنية بالهند .

(٣) الجندي والعهود المؤولية ج ١ ص ٣٦٥ والمواصص ص ٢٢ .  
(٤) تحفة الزمن والمواصص ١٧٣ ومرآة أعلام الزمن وتاريخ قمر عدن ص ٣٠ .

— أبو عبد الله محمد بن عمر بن حبيب كان من كبار المتصوفة في اليمن وله  
مجموع كلام راق في الحقائق الصوفية وصفه ابن الأعدل بقوله ( فيه مقالات  
مفيدة وفي بعضها شيء من الشطح) وهو مجموع في مجلد. توفي سنة ٧١٨ (١).

— علي بن عبد الله الطواشي يصفه اليافعي بقوله أنه من الصوفية الذين  
جمعوا بين الحقيقة والشرعية ( توسع الشرحى في ترجمته ) توفي سنة ٧٤٨ (٢).

— عبد الله بن أسعد اليافعي هو الصوفي اليمني الوحيد الذي سارت شهرته  
خارج اليمن وانتشرت كتبه في مكة ومصر والشام هاش في عدن وانتقل إلى مكة  
مده ثم ارتحل إلى مصر والشام ووصفه ابن بطوطة في رحلته توفي سنة ٧٦٨ (٣).

— طلحة بن عيسى بن إبراهيم الحنار يذكره الفرجي كرامات كثيرة ويقول  
أن كراماته بحر لا ساحل له ومن مصنفاته في التصوف كتاب ( اللطائف اجتلا  
هروس المعارف ) توفي سنة ٧٨ (٤).

(١) كفا ضبط وفاته الشرحى وعند الخزرجي أنها سنة ٧٢٠ ( وانظر ترجمته في طراز  
أعلام الزمن وتحفة الزمن والمواصص ١١٨ ) .

(٢) مرآة الجنان ج ٤ ص ٣١٠ وتحفة الزمن والمواصص ج ٤٣ .  
(٣) له ترجمات في عدة كتب منها رحلة ابن بطوطة ج ١ ص ١٤٧ وطبقات الشافعية

(٤) السبكي ج ٦ ص ٢٠٣ والاسنوي في طبقات الشافعية ج ٢ ص ٧٢ والقدس السبكي ج ٥  
ص ١٠٤ والدرر السكينة ج ٢ ص ٢٤٣٧ وغريال الزمان للمامري مضبوط والأعدل

تحفة الزمن وتاريخ قمر عدن ص ١٠٩ وطبقات المواصص ص ٦٧ . واليهود الطالع ج ١ ص ٣٨٧  
والتصوف الاسلامي لركي مبارك ج ٢ ص ٢٣٠ وأفرده بالفرجة أبو بكر بن محمد بن سلامة

للوزعي المتوفى سنة ٧٩٠ في مؤلف بعنوان المسلك الارشد في مناقب الشيخ عبد الله بن أسعد  
( انظر صف الظنون ج ٢ ص ١٨٤٥ ) .

(٤) طراز أعلام الزمن وتحفة الزمن والمواصص ج ٦٢ .

ويمثل هذا القرن نضوج التصوف في اليمن وإكمال مذهبه النظري والعمل.

### في القرن التاسع

وهذا القرن هو آخر صورة في إكمال الصوفية مذهبهم بعد أن قوى نفوذ رجاله وأصبحوا يكترون سلطة لها نفوذها بجانب سلطة الدولة وسكنت في هنا بالاشارة إلى بعض منهم .

— أبو بكر بن محمد السراج كان من كبار شعراء الصوفية له ديوان شعر مجموع توفي سنة ٨٠٠ هـ (١).

— أبو بكر بن محمد بن حسان الحضرمي من الصوفية العاملين احترق من الدنيا واخذ يتكسب بعمل يده وله بعض الكرامات أوردتها الشرح في كتابه توفي سنة ٨٠٢ هـ (٢).

— اسماعيل بن أبي بكر الجعفي المتوفى سنة ٨٠٦ كان شيخ الصوفية في عصره (٣).

— أبو محمد عباد بن أبي بكر الناصري المتوفى سنة ٨٢١ كان كبير العبادة والزهد (٤).

— عباد بن عبد الرحمن بن عثمان المقرئ صاحب الصوفي أحمد

(١) الفواص ١٧٥ وديوانه مخطوط بضمه روت .

(٢) نسخة الزمن الفواص ١٧٦

(٣) منقول لك ترجمته في موضوع آخر من الكتاب

(٤) الفواص ص ٧٥ . الفقه اللازم ج ٥ ص ٥٤

الديني وكانت لها كرامات شهيرة أورد منها الشرح في كتابه توفي سنة (٨٣٠) (١).

### القرن العاشر

يمثل هذا القرن آخر مرحلة بلغها التصوف اليمني في تطوره وبعد ذلك أخذت تطفئ عليه العوامل المتناقضة من ازدهار وسقوط ولعل أبرز علامات ازدهاره تأتي في أشخاص رجاله الذين برزوا في هذه المرحلة ومنهم جماعة من صوفية حضرموت التي سجد التصوف قد لفظ فيها خلال هذه المرحلة وأخذت تواصل الحفاظ عليه حتى عصرنا الحديث ومن رجال هذه الفترة :

— الشيخ أبو بكر بن عباد بن العبدروس . كان من أكابر الأولياء واشتهر بالكرم فكان يذبح في سماطه في كل يوم في رمضان نحو ثلاثين كبشا وعندما توفي بلغت ديوانته مائتي ألف دينار وكان يحسن إليه سلاطين الدولة الطاهرية وبعض أمراء الصومال توفي سنة ٩١٤ هـ (٢).

— معروف بن عباد بن جمال عرف بتربية المريدين وكان له جاء عظيم وأودى من قبل سلطان بلده لميل الناس إليه توفي سنة ٩٦٩ هـ (٣).

(١) الفواص ص ٧٣

(٢) ألف في مناقبه الشيخ عبد الرحمن العبدروس المتوفى سنة ١١٩٣ كتابا في مناقبه بعنوان ( الفتح المبين ) بألفاس العبدروس فخر الدين وترجمته في المشرق الروي ج ٢ ص ٢٤

وشرح النبوة ص ٦٥٩

(٣) ألف في مناقبه الشيخ محمد بن عبد الرحمن بأجمال المتوفى سنة ١٠٩٩ كتابا بعنوان مواهب البر الرؤوف في مناقب الشيخ معروف مخطوط وانظر ترجمته في كتاب الثور والافر

ص ٢٧٣

— الشيخ أبو بكر بن سالم له مشاركات في علوم التصوف وقصده الناس الزيادة من أما كن جده توفي سنة ٩٩٢ (١).

### في القرون الأخيرة

كثر التصوف بعد القرن العاشر وأصبحنا نجدهم في شق طوائف المجتمع كما نجدهم في المدن والريف ولا أغال إذا قلت أن نوعة التصوف تفلطت حتى عند جمهور الفقهاء وغدا من المتعذر التمييز بين كل من ترسم بالفقه وسائر العلوم الأخرى ومن عرف بالتصوف ولمل ذلك يعود في أساسه إلى عدم وجود التمييز بين تخصصات العلوم الإسلامية واتجاهاتها وهذا بدوره هائلا إلى ركود الثقافة في تلك العصور وطفان الجهل على الناس وعلى الرغم من هذه الكثرة الطاغية فما كنتي بك شخصين من رجالات التصوف في هذه القرون الأخيرة.

أولهما : الصوفي الكبير حاتم بن أحمد الأمدلي الذي غلب عليه طابع التصوف مع نمكة من عدة علوم وكان يقول الشعر الحين والقصيح وله ديوان شعر كبير توفي سنة ١٠١٣ (٢).

ثانيهما : عبد الله بن هوى الحداد من أهل حضر موت برع في التصوف والكتابة على أسلوب الغزالي وله مؤلفات في التصوف مطبوعة توفي سنة ١١٣٢ (٣).

- (١) هناك أكثر من كتاب مستقل في ترجمته لعل آخرها كتب الجواهر في مناقب تاج الأكابر لحفيده السيد عبد الله بن أحمد الهادي الطروج في القاهرة أخيرا  
(٢) الف في مناقب الشيخ عبد القادر العبدوس كتابا في مناقب بعنوان (الروض الياسم من مناقب الشيخ حاتم) مخطوط بالسكك الهندى بلندن ٦٣٨ ل  
(٣) وفيه في مناقب كتابا بعنوان غاية القصد والمراد في مناقب الشيخ عبد الله الحداد الشيخ محمد بن زين بن سميح مخطوط (انظر مراجع تاريخ اليمن ص ٣٣٦

### التصوف في نهامه

أغلب الذين عرفتهم اليمن من الصوفية عاشوا في نهامه حيث كانت هذه المنطقة من البلاد المحيية لهم فقد وجدوا فيها الأمن والهدوء مؤثرين العزلة والعبادة في سواحلها وبعيدا عن ضجيج الحياة وفلاقل الحكام وقد كان أحد صوفيتهم — وهو الشيخ أحمد الصياد — (يشي كثيرا على السواحل ويرى أنها موره هبادة الصالحين) (١).

### التصوف في الجبال

وإذا كان التصوف قد انتشر في المناطق السهلة من اليمن فانه قد قل في جباله حتى أصبح من الندرة بحيث يعد رجاله بالأصابع ولا سبب لذلك سوى أن بعض المذاهب التي عرفها اليمن لا ترحب بالتصوف على اعتبار أنه دخيل على الإسلام . وكان للمذهب الزيدي بما عرف به من نظره عقلانية تحررية قد أدان الصوفية في كثير من شطحاتهم وشعاراتهم البعيدة عن الإسلام وهو في ذلك يتفق مع للمذهب الحنبلي وقد الحنا في فصل قادم إلى أن الانتم ما كانوا يرجون بالتصوف لاعتبارات أشرفنا إليها هناك .

فشكل هذا وذاك عاملين رئيسيين في احصاف التصوف عند أهل الجبال حتى أن بعض الصوفية يرى انهم لا يجوزون الاسرار والكرامات (٢) . أما المقبل في القرن الحادى عشر فترجع عدم انتشار التصوف ( في جبال اليمن إلى الآمام القائم بها ) (٣) .

(١) الخراس ص ١٨ .

(٢) يحيى بن المهدي : صله الاخوان (مخطوط)

(٣) الحنبلي : العلم الشامخ ص ٣٨١ .



وإذا كان مفا هو حال الشاجة الجلية مع الصوفية لا يجب أن نطعم  
 بوجود إحداهما وفرة منهم وكل من برز فيها لا يتعدى سلوكه الطريقة السنية التي  
 سار عليها زهاد المسلمين وعبادهم ولم يعرف عنهم أدنى ميل إلى التصوف  
 قلبي كما هو الحال عند بعض صوفية التهايم والمناطق اليمنية السفلى وحضر  
 موت .

هل أن المجدد الحقيقي للتصوف في الجبال هو الشيخ الحليل إبراهيم بن أحمد  
 الكيني الذي جمع في نفسه بين الزهد والعبادة وقد وصفه الشوكاني بقوله  
 ( أنزل من الناس وأنجم من الخالصة لم وعكف على معالجة قلبه عن مرض  
 حب الدنيا وصام الأبد إلا العبد والشرقي وأحياء ليله بالقيام لمناجاة ربه )  
 توفي سنة ٧٩٣هـ (١).

وعلى يد هذا الشيخ الكبير انتشر التصوف في مناطق صحه وصنعاء وذمار  
 وغير ما وقد ذكر مؤرخ سيره جماعة من مریدیة في تلك المناطق أمثال .

— قاسم بن عمر الجعفي . خرج من ماله وأمله ولبس التصوف وجاهد  
 نفسه وكان من أحب الناس إلى الكيني وهو أحد أوصيائه من بعده (٢) .

— يحيى بن حمزة البرم الصماني يقول جامع سيرة الكيني كان فاضلاً عابداً  
 زاهياً ترك الدنيا مع الفنى واقتدى ببيت إبراهيم الكيني في لباسه وزاده (٣) .

— حسن بن موسى بن حسن من هجرة الأوطان ترك زينة الدنيا واقتدى

- (١) أنظر ترجمته في كتاب ( صلة الأخوان في طلبة بركة أهل الزمان ) (مخطوط) لتليفه  
 يحيى بن الهيثم ومسلم البدر والوال بوفيات الأعيان لقصدي — والبدر الطالع ج ١ ص ٤  
 وائمة السن لزماره ص ٢٧٨ ونشر البرق ج ١ ص ٢٨٧ وغير هذه الكتب .  
 (٢) يحيى بن الهيثم : صلة الأخوان (مخطوط) .  
 (٣) المصدر السابق : (مخطوط) .

— بغيته إبراهيم الكيني وكان يحمي الليل ويصوم النهار وكان زميلاً لبيت  
 في الحضر والضر .

### « التصوف في حضر موت »

من المؤرخين من يرجع أول بادرة لتصوف في حضر موت إلى شخص  
 عاش في القرن السابع الهجري هو الشيخ محمد بن علي الشهير بالفقيه المقدم المتوفى  
 سنة ٦٥٣هـ (١) .

ويقول الفيل شارحاً هذه النقطة ( أن أصل حضر موت كانوا مفتخين  
 بالعلوم الفقهية وجمع الأحاديث النبوية ولم يكن فيهم من يعرف طريق الصوفية  
 ولا من يكف لإصطلاحاتهم السنية فظهر الفقيه المقدم وطرمها ونشر في تلك  
 التواحي أعلامها فأخذت منه الجم الغفير وتخرج به العدد الكبير (٢) وقد شهد  
 عصر الفقيه المقدم نقاطاً كبيرة في التصوف حتى أن أحد صوفية العالم الإسلامي  
 المشاهير وهو الشيخ أبو مدين المغربي قد بحث إلى حضر موت مندوباً من قبله  
 يتدبر الطريقة المغربية في تلك الأصقاع (٣) وهذا وحده كافياً على مكانة حضر  
 موت عند الصوفية في ذلك الوقت .

وهن طريق الفقيه المقدم انتشر التصوف في حضر موت وقد نبغ على يديه

- (١) أنظر ترجمته في بعض الكتب الناصرة ككتاب تاريخ حضرموت للعلامة ج ٢  
 وكتاب ادوار التاريخ الحضري للشاري ج ٢ ص ٩١ وشرح البيهقي ص ٦٠٢ والتهكم  
 والتفان في التاريخ الحضري لبازير ص ١٢٦ ومن القضاة الفيل في المعروض الروى ج ٢  
 ص ١٧٢ والشيخ علي من ابن بكر الشاف المتوفى سنة ٧٩٥هـ كتاباً في مناقب بعنوان  
 الأنموذج اللطيف بآخر كتاب البرقة للشيف ص ٢٠٩ — ٢٢٦  
 (٢) الفيل : المعروض الروى في مناقب يحيى علوى ج  
 (٣) أنظر الشارح ادوار التاريخ الحضري

جمع كبير من الصوفية أمثال الشيخ عبد الله بن محمد بأجداد<sup>(١)</sup> المتوفى سنة ٦٨٧ هـ وعبد الله بن إبراهيم بأقشهر وسعيد بن عمر بالحلاف وسعد بن عبد الله أكدر وغيرهم كثير وظل جبل الصوفية في حضر موت يتابع حتى عصرنا الحديث حيث عرفنا منهم جماعة من الانقلاب أمثال عبد روس بن عمر الحبشي المتوفى سنة ١٣١٤ هـ وعلي بن محمد الحبشي ١٣٣٤ هـ وعلي بن عبد الرحمن بن قهاب وغيرهم كثير وعلى الرغم من كثرة وجود الاعلام والمجاهد في الفقه والتصوف فإنه لم يحدث هناك شقاق كبير بين (الزعتين الفقهية والصوفية) ورغم ما بينهما من خلاف فقد ظلنا على وئام في حضر موت بل أن كثرا من قهات حضر موت اعتقوا الآراء الصوفية المعتدلة دون أن يروا فيها ما يعطلم مع نصوص ظاهر الشريعة<sup>(٢)</sup>.

### «عالم الصوفية»

#### تولية الشيخة الصوفية

بعد اكتمال التصوف في اليمن قواعده الأساسية وقيامه كذهب مستقل رأيناه من نفسه نظما وتقاليده خاصة به لا يواحه فيها أحد من إبداع الطوائف الأخرى ومنذ القرن السابع والتصوف في اليمن يحاول أن ينظم نفسه في هيكل دقيق يشكون من الأصل والفروع بحيث لا يمتد كل فرد فيه مكانه المنصوص له فالشيخ الذي هو أعلى درجة في هذا التنظيم يليه الخواص من جلسائه ثم سائر المريدين من الطلبة والاتباع.

(٢) انظر ترجمته في طبقات الخواص ص ٧٠ ولا حد احفاده كتاب في مناقبه بعنوان الشيخ القوم (مخطوط)

(٤) سعيد باوزير : الفكر والثقافة في التاريخ الحضري ص ١٠٧

هل أن تولد المشيخة الصوفية لا يأتي في أكثر الأحيان احتباطا أو بدافع ذاتي وإنما يكون غالبا بترشيع يقوم به كبار الصوفية في ذلك الوقت للشيخ المرشح للمشيخة وقد ذكر الزجاني صورة من تلك الطريقة التي تتبع في ترشيح الشيخ - وهي في الغالب لا ترتبط بكيفية واحدة - من ذلك أنه عندما كان تولية الشيخ إسماعيل الجبرتي مشيخة الصوفية وذلك بعد أن كثرت إتبائه واشتهر أمره اجتمع الصوفي الكبير رضى الدين أبو بكر سلامة الموزعي بالشيخ أبي بكر بن محمد السراج صاحب قرية للسلامة فأشار عليه بأن ينصب الجبرتي فقبل منه ذلك وانتظر حتى جاء وقت السماع فقام في تلامذته وألبه صماته وقال لهم قد نصبت عليكم شيخا<sup>(١)</sup>.

وهناك صور أخرى لتولي المشيخات الصوفية وربما أومر بعض الشيخوخ لاجد تلامذته بتولي المشيخة من بعده وقد يقرن ذلك بمحادثة غريبة كما هو الحال في تولي الصوفي جومر بن عبد الله المتوفى سنة ٦٢٦ هـ لمشيخة الصوفية فقد ذكر كل من ترجم له أن شيخه الولي العلامة سعد الحداد قد أوصى بتولي المشيخة بعد وفاته إلا أنه قيد ذلك بشرط هجيب هو أنه سينزل طائر يقع على رأس من يأخذ هذا المنصب فاتفق أن تول هذا الطائر على الشيخ جومر (فقدام إليه الفقراء ليقعدوه موضع المشيخة فبكي وقال أين أنا من هذا أنا رجل عامي لا أصلح لذلك فقالوا قد أقامك الحق في هذا المقام فقال إن كان ولا بد فأهلوني ثلاثة أيام أسعى في رد حقوق الناس ثم جلس بعد ذلك في منصب المشيخة<sup>(٢)</sup>).

وقد يعين الشيخ من يخلفه وهو لا يزال حيا فقد ذكر الشيخ أحد الرداد أن الجبرتي عينه في المشيخة وهو على قيد الحياة يقول (إن سيدي إسماعيل

(١) للزجاني : وهديته السالك (مخطوط) .

(٢) الشرجي طبقات الخواص ص ٤٦ .

الجبرتي قد نصبت شيئا وأذن لي في الالباس والتصب وذلك في ليلة السبت ٢٢ من شعبان سنة ٨٠٢ بمسجده المعروف بوييد بحضور جمع من الشيوخ والفقراء والمريدين (١) فيكون تصيب ابن الرداد المشيخة قبل وفاة شيخه بأربع سنوات .  
 وول الفدالب يكون قول المشيخة وراثياً فيختلف الابن والده وهكذا هل أن يقوم الابن بكافة الاعمال التي يمارسها الاب وهو لا هم الذين سموا فيما بعد بالمناصب فقد ذكر الجندي والاهمل عدد كبير من هذه المنصبات كنسبة يدي سود بن الكميث (٢) ومنصب بن المكش (٣) ومنصب بن الحكم (٤) ومن أشهر المناصب الصوفية في اليمن والتي لا تزال قائمة إلى الآن منصب بنى الامل .

وقد احتفظ لنا الادب اليمنى بصور من احتفالات الفقهاء في تولي أحد الصوفية ذلك المنصب الوراثي كقول الشاعر ابن زقل منشأ الشيخ أحمد بن عمر الامل بتولي منصب المشيخة الاهلية وكان قد احتفل الصوفية بتولي هذا المنصب بأن حملوا حلة سماع كبرى يقول ابن زقل (٥) :

صب بكاحنة شجة أربع فدموعه في الخدمه أربع  
 راحته في القادين رائحة الثرى ففؤاده لمسا تأوه مروع  
 يأسلمين العيس تنفع في البرى حيناً وحيناً في الأزمه تزوج  
 قولوا لا بناء الاوايا هلغوا من لم يكن الآن حاضر يسمع

(١) أبو بكر البديروس الجزء الطيف في التكيم الشريف من ٢٢ :  
 (٢) الجندي : السلوك عطلوط .

(٣) و (٤) : الامل تحفة الزمن عطلوط .

(٥) أنظر ترجمته في طراز أعلام الزمن للخروجي . وهو محمد بن إبراهيم بن زقل مدح جماعة من مشايخ العرب ويقول لم ألق على ديوانه .

أهل الطريقة والحقيقة أجمعوا هزموا في الرأي العوالب واجمعوا  
 أن ينصبوا ملك المناصب تبعاً إذ ليس في كل المناصب تبع  
 ويتوجوه بتاج أهدل جده إذ ذاك بالودع الصريح مرصع  
 ويرقعوه برفع من طمه لينظر العلماء وهو مبرقع

### الزوايا والربط

هل أن المشيخة مقر خاص عرف عند الصوفية باسم ( الرباط ) أو الزاوية ، يكون ماوى للمريدين ومن يريد أداء بعض العبادات وسجد هذه الربط قد كثرت في القرن التاسع وما بعده منها :

١ - زاوية الشيخ أبي الغيث بن جميل المتوفى سنة ٦٥١ بلغ عدد من فيها من المريدين مائة طالب (١) .

٢ - زاوية الشيخ علي الامل ( القرن السابع ) مجموع من فيها نحو ٥٠٠ طالب (٢) .

٣ - رباط الشيخ علي بن أفلح ( القرن السابع ) في مدينة زيد (٣) .

٤ - زاوية الشيخ مفتاح بن عداقة الاسدي ( القرن السابع ) مجموع من فيها ٣٠٠ طالب (٤) .

٥ - رباط الشيخ محمد بن عمر النهارى المتوفى سنة ٧٤٧ : يقع في ناحية ربه (٥) ،

(١) التصوف في تهايه من ٣٢ .

(٢) المصدر السابق من ٣٢ .

(٣) الشرجي : طبقات الغواص من ٨٧ .

(٤) وطيطوط . طريقة للمعلم وطيطوط ( مضطوط ) وطبقات الغواص من ١٥٦ .

(٥) الشرجي : طبقات الغواص من ١٢٦ .

٦ - رباط الشيخ اسماعيل المغربي المتوفى سنة ٨٦٠ : يقع في مدينة همدان وقد ذكر تلميذه الإمام جصاص في كتابه من الذين تولوا طبعته منهم الشيخ الصديق المغربي والشيخ أحمد بن محمد الميمني (١).

٧ - سؤرية الشيخ أبي بكر بن محمد القسبي المتوفى ٨٤٥ بمدينة زبد ويقول للرجل أنه أمرك بغير إقرار (الطلب) بها وكان خيراً صالحاً له هذه المكاتبة (٢).

٨ - رواية الشيخ أبي بكر بن محمد بن سلامة المتوفى سنة ٨٥٤ له رواية مدينة مزعومة (٣). وهو من قروايا والأرجح كونه جدياً (٤). وأصل أشهرها في صيغة الحديث رباط مدينة زبد (٥) ورباط الجهاد. تصد إشراف السيد عبد الحارث (٦).

### « خرقه الصوفي »

ومن مهام الشيخ الزينية بجانب الإشراف على أوقاف الزاوية وتسيير أمورها القيام بألبس الخرقه للصوفية والتحكم في أمر ذلك وتنظيم حفلات المساجد التي يجتمع المريدون في الزاوية أو في بعض المساجد وتتوقف هنا عند طين الأمرين :

- (١) القزويني : حياة السالكين والفرسان ص ١٠
- (٢) المصدر السابق ص ١٨٣
- (٣) المصدر السابق ص ١٧٦
- (٤) القوس لشرح هذه الروايات وربطها براجح كتاب قصة الزمن للأحمدي وطبقات القزويني.
- (٥) وهذا ما ذكره أبو عبد الله الساجي للمفسرين وهو الباحث عبد الله بن حسن بن محمد كما يقول في ذكره المختار في تاريخ الزاوية (طبع)

فالبس الخرقه الصوفية من العادات الأصلية للصوفية الذين وهمهم وهم برجعون مندماً إلى نفس من الله عليه وسلم (١) ويصلونها من البهايات الأولية لطالب الصوف ومن القهاء من أنكروا عليهم مندماً إلى الرسول إلا أن الصوفية يقولون في الرد عليهم أن لبس الخرقه إذا فرضنا عدم صحة نسبته إلى الرسول (٢) ليس بمحرم ولا مكروه وأن القديس في حقيقته ليس بمستكره على الإطلاق (٣) قد أحدث القهاء لبس الطيلسان على الصلابة وقالوا ليس بمحرم ولا مكروه (٤).

وقد أفرد الخرقه الصوفية كثير من صوفية اليمن فرجعوا في مندماً وتاريخها مؤلفات حديثة (٥) مما يدل على مكانتها لديهم : وهم يخشون كل من سوامهم بأن يحسن القهاء المجلدين لتعاليمهم قد شارك في لبس الخرقه كالنقبة الحديث

(١) الميمني المجلد : عقود الآله ص ٢٤٠

(٢) الميمني : الجزء : الطيف ص ٨

(٣) من الكتب التي وضعها صوفية اليمن في الخرقه الصوفية وسنداً وأدباً الكتب الآية :

١ - أحمد بن أبي بكر الرماد المتوفى ٨٢١ : تفتيش القواعد الربوية في أصل

حكم خرقه الصوفية ( لسان الكون قبل كلف الظنون لإسماعيل باها )

٢ - علي بن أبي بكر القفاص المتوفى ٨٩٥ البرقة للشبه في ذكر الخرقه

الآية طبع في القاهرة سنة ١٢٤٧ هـ

٣ - أبو بكر بن عبد الله الميمني المتوفى سنة ٩١٤ : الجزء : الطيف

في التحكم العرفي طبع في القاهرة سنة ١٢٥٦ هـ

وهم العلامة القزويني محمد مرتضى الزبيدي المتوفى ١٢٠٥ مؤلفاً كبيراً لبعضهم من

الميمني المتوفى ٩١٩ في الخرقه الصوفية عند أهل اليمن بنو ( القصة الصوفية

بواسطة البهجة الميمنية )



روحان الدين إبراهيم بن عمر الماروني المتوفى سنة ٧٥٢ والفقيه نيسابوري  
سليمان إبراهيم الماروني المتوفى سنة ٨٢٥ والفقيه محمد بن عبد الرحمن السراج  
وغيرهم (١).

وعند الصوفية أن ليس الخرقه دليل على المتابعة لرسول الله (ص) ومنهم  
من قال أنها رمز إلى الرابطة بين الشيخ وتلميذه (٢) وقد قسموا الخرق من حيث  
مدلولها الصوفي إلى ثلاثة أنواع .

الأول : خرقه الإرادة لا يتعاطاه إلا من له إرادة صادقة (٣) .

الثانية : خرقه التبرك وهي مفاد للناس والعامة يلبسها كل من أراد التبرك  
بالصوفية (٤) .

الثالثة : خرقه التعبه تلبس بقصد التعبه بالصوفية وحسبها حكم النوع  
الثاني (٥) .

ومعكذلك يعني الصوفية في فلسفة خرقتهم وهي في الغالب تتكون من  
طاقية الشيخ أو قميص أو الصمامة أو الطيانشان أو شهر ذلك ( فيجوز أن يسمى  
جميع الملابس من الأزار والقميص والإردية والجباب والمعائم والأقبية  
وما فوق ذلك وما دون كلها خرق (٦) .

ويكون لباس الصبيغ لمريده في حفل جميع طقوسه الصوفية له فقد ذكر  
الميدروس راويها عن نفسه كيفية لباسه الخرقه الصوفية بأن ذلك كان ( بمحضر

(١) المزاجي : هداية السالك ( مخطوط )

(٢) الأملد النس البان وأجازة القضاء في الدوكان ( مخطوط ) :

(٣) الميدروس : الجزل الطيب ص ٥٥ .

(٤) ، (٥) ، (٦) : المصدر السابق ص ١١ .

(٥) المصدر السابق ص ٧٧ .

عظيم من كافة المفايخ والفقراء والعلماء وكان ذلك بتاريخ شهر رجب سنة  
٨٦٥ هـ (١) .

ويصح الالباس عادة قيام الشيخ بتحكيم التلميذ وتلقينه الذكر فاما التحكيم  
فهو عبارة عن أشعار تليد لشيخه بموافقة على التلمذة عليه وقد شبه بعضهم  
بالمباينة عند تولد الخلافة (٢) وهناك صور كثيرة لهذا التحكيم عند الصوفية منها  
أن ( يضع المتحكم يده في يد الشيخ ثم يقرأ الفاتحة وأية من آيات الرجاء  
الواردة في القرآن ويقول الشيخ بعد ذلك رديت بي فبينا ومزودها يدعوك إلى  
مادعاه الله ورسوله فيقول التلميذ رديت (٣) ثم يقرأ عليه بعض الآيات  
والأدعية .

( أما التلقين فهو أن يضع الشيخ يده في يد المريد ويأمره بسماع الذكر  
معه مع تضييع العينين ثم يقول بعده . ثم يقول الشيخ بعد الاستغفار والدعاء  
لا إله إلا الله ثلاثا فيقول المريد كما قال الشيخ (٤) .

### « السماع عند صوفية اليمن »

كان السماع في أول الأمر عبارة عن تجمعات الصوفية تلى خلالها مجموعة  
من الأذكار والأوراد يلقبها الطلبة بصوت واحد مرتل ثم أخذ يتطور قليلا  
فأدخل عليه القصائد المنظومة ثم استعملت بعض الآلات الموسيقية كالطبل والناي  
إلى أن تحول إلى غناء وموسيقى ورقص .

(١) المصدر السابق ص ١٧ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) المصدر السابق .

(٤) ميدروس الجبلي : طرق اللال ص ٩٩ .

وقد أقام صوفية اليمن السماع منذ القرن السابع ومن أوائلهم الذين مارسوا هذا النوع من الموسيقى الصوفي الكبير أبو الفتح بن جميل<sup>(١)</sup> والشيخ أحمد بن طوان<sup>(٢)</sup> ومحمد بن أبي بكر الرازي<sup>(٣)</sup> وكان الشيخ محمد بن عيسى الزياضي يميل السماع في كل قرية من قرى وادي مور ويردد<sup>(٤)</sup> وفي أماكن أخرى وربما ظل يردد بيت شعر واحد طيلة السماع كله .

أما في القرن الثامن فقد انتشر السماع على يد الشيخ إسماعيل بن أبي بكر الجبري بعد أن أدخل عليه أشياء جديدة وربما أقام السماع في ليله بأكملها<sup>(٥)</sup> . ويحضر سماعه في بعض الأحيان سلاطين الدولة الرسولية أمثال الملك المجاهد والملك الأفضل والملك الأشرف<sup>(٦)</sup> ويقول الأملد أن الجبري أدخل على السماع بعض الآلات الموسيقية كالدف والقيارة والعود وربما حصل في بعض ليال السماع (من الإعلان بالزينة وخروج النساء وحضور من الأمر العظيم)<sup>(٧)</sup> .

وكان الجبري أول من أقام السماع للأسر احتفالاً بمناسبةاتهم العائلية<sup>(٨)</sup> وذلك بقصد إدخال السرور عليهم حتى أن السماع أصبح بعد ذلك نوعاً من الترفيه وكادت أن تختفي قداسته الصوفية التي يهدف من ورائها ذكر الله والخفية

(١) الزياضي : روح الرازي ص ٢٧٨ .

(٢) و (٣) المصدر السابق ( نفس الصفحة ) .

(٤) الزجاوي : مناهج السالك ( مخطوط ) .

(٥) المصدر السابق ( مخطوط ) .

(٦) المصدر السابق ( مخطوط ) .

(٧) الأملد : نطفة الزمن ( مخطوط ) .

(٨) الزجاوي : المصدر السابق ( مخطوط ) .

له ومع ذلك فإن الجبري هو القائل ( أن السماع حرام على من لا يعرف معانيه )<sup>(٩)</sup> ويقول ( السماع لمن فتح عليه في التصوف والافهم حرام على كل شخص )<sup>(١٠)</sup> وقد جيب إلى نفوس تلامذته تلذوق السماع والمشاركة في حفلاته فكان له أنصاره الكثيرون . ومنهم من يذوق فيه وينفعل به حتى يؤدي به ذلك إلى الوفاء كما يذكر من أحد تلامذة الشيخ الجبري وهو الصوفي محمد بن هافع ( وكان قد حضر سماعاً للفقراء فلما غنى المثنى في السماع دخله شيء من الوجد فقام من موضعه وقعد عند المثنى ساعة ثم رمى بنفسه على المثنى واعتنقه ساعة ثم فترت قواه ومات )<sup>(١١)</sup> .

ومنهم من يرمى بنفسه من مكان مرتفع أثناء السماع فلا يصاب بأذى كالشيخ عبد الله بن محمد العفيف المعروف بالسنن<sup>(١٢)</sup> وغيرهما كثيرون فبدل كل ذلك على الأثر القوي الذي تركه السماع في نفوس تلامذة الشيخ إسماعيل الجبري .

#### « المؤثرات الخارجية في تكوين التصوف باليمن »

منجد كل تلك التقاليد والمعادن التي مارسها صوفية اليمن من الأمور المتبعة عند سائر الطوائف الصوفية في أنحاء العالم الإسلامي ولم يبدلوا عنهم في قليل أو كثير .

ومع ذلك فإنا إذا أردنا أن نلخص التصوف في اليمن وجهة خاصة به فنجد ما في قيام بعض الطرق المحلية التي نشأت فيه كالطريقة الأملدية والطريقة الجبرية والطريقة الحدادية والبيدروسية<sup>(١٣)</sup> وغيرهما إلا أن كل هذه الطرق لا تعدوا أن

(١) و (٢) الفرجي : طبقات الخواريص ص ١٨ .

(٣) الفرجي : النور الأولي ج ٢ ص ٢١٨ .

(٤) الفرجي : طبقات الخواريص ص ١٠٦ .

(٥) أورد هذه الأسماء الزبيدي في كتابه ( النسخة القدسية بواسطة البضة البيدرسية )

واظهر أيضاً كتاب ( السط الحيد ) لأحمد بن محمد القشاشي طبع في الهند .

يكون أسماء على غير مسجات إذا الكل من هذه الطرق ينفرد من المنبع  
لقام التصوف الاسلامي عموما ولم نجد احدا منهم ينفق لنفسه منها  
خاصا .

وحى اولئك الذين دعوا لانفسهم طرقا مستقلة ليدعموا بتفردون بقبيلتهم  
الفرق الصوفية الكبرى التي شهد بها حواضر العالم الاسلامي في بغداد ومصر  
والقرب وهذه الفرق منحصر ما في ستة طرق صوفية كان لها الافر الكبير على  
التصوف في اليمن .

١ - الطريقة القادرية : وتنسب إلى الشيخ الكبير عبد القادر بن موسى  
الجلاني المتوفى سنة ٥٦١ هـ وله تأثر بهذه الطريقة جماع كبير من صوفية اليمن كالشيخ  
ابراهيم بن محمد باقر (١) والشيخ احمد بن يحيى المسعودي (٢) المتوفى سنة  
٨١١ هـ والشيخ اسماعيل الجيزي (٣) والشيخ ابراهيم بن بكر بن أبي حرمه والشيخ  
عبد الله بن حليل باعادي (٤) والشيخ احمد بن الجعد (٥) وغيرهم كثير جدا ولعل  
اول لقاء بينين بالطريقة القادرية يعود إلى عصر الشيخ عبد القادر الجبلاني  
حيث اجتمع به اثنان من صوفية اليمن هما الشيخ علي بن عبد الرحمن السداد  
والشيخ عبد الله الاسدي فأما الاول فقد التقى به صدقة عند الكعبة المشرفة (فليس  
من الفرقة الصوفية عند مقام ابراهيم الخليل سنة ٥٦١ هـ) وأما الثاني : فانه لما  
سمع أن الشيخ عبد القادر الجبلاني سجد من العراق إلى مكة لأداء فريضة الحج  
لوجه نصيبا لخالته (فوافاه برغفاته فأخذ منه كتب اليد وسمع عليه شيئا من  
علم الحديث النبوي) (٦) ويقول القزويني أن (غالب شيوخ اليمن يرجعون في

نسبة الفرقة الصوفية إلى الشيخ عبد القادر الجبلاني) (٧) .

٢ - الطريقة الداذلية : نسبة إلى الشيخ أبي الحسن علي بن عبد الله الداذلي  
المتوفى سنة ٩٥٦ هـ انتقلت هذه الطريقة إلى اليمن على يد الشيخ علي بن عمر بن حسين  
الداذلي المتوفى سنة ٨٢١ هـ (٨) الذي كان من أوائل المؤسسين لها في اليمن وكان  
قد رحل إلى بيت المقدس ومصر فاجتمع فيها بالشيخ ناصر الدين بن شهاب الملقب  
سنة ٧٩٧ هـ أحد أعيان الداذلية في مصر ويقال أنه لما علم بقدمه إلى مصر من  
بيت المقدس أمر بعض أصحابه (بإلقائه في حفل مهيب) (٩) ثم رجع إلى اليمن  
وعمر بها الطريقة الداذلية . وبعض المؤرخين ينسب إلى هذا الشيخ اكتشاف  
القات والقهوة (١٠) مستدلين بذلك برحلته إلى الحبشة إلا أن هذا لم يحقق فيه  
وقل المصادر القديمة التي ترجعت له اكتفت بالإشارة إلى تصوفه ونقله الطريقة  
الداذلية إلى اليمن .

٣ - الطريقة المغربية تنسب إلى الشيخ شبيب بن الحسن الصبيح باني مدين  
(توفي سنة ٥٩٤ هـ) وقد سبق أن أشرنا إلى أنه بعض مندوبا من تاجيك إلى  
حضر موت . ومنذ ذلك التاريخ وأباحت هذه الطريقة بتكاثرهم في اليمن ولعل  
آخرهم هو الشيخ احمد بن عبد القادر باقر المتوفى سنة ١٠٥٢ الذي شرح كتاب

(١) المصدر السابق ص ٨٤ .

(٢) كذا عند القزويني وأما السقاوي فيضبط ولفظه سنة ١٨٢٨  
المرجع في تاريخ البراءين وطبقات الخوارج ١٠٠ والضمم ج ٥ ص ٢٦٢ .  
وأما المجلس لعل بن نور الدين المسكن ج ٢ ص ١٦٣ .

(٣) البراءين : التاريخ (مخطوط) .

(٤) انظر مثلا كتاب (أبناس الصلوة بالقباس القهوية) للمبدوس (مخطوط) ورواج

الاوليات في الفخامة بين القهوة والقات للاهيب أحمد الطيبي ص ٢٣ .

(٥) (٦) و(٧) و(٨) و(٩) : المبدوس : الجزء الطه من ٢٠ - ٢١ .  
(١٠) القزويني : طبقات الخوارج ص ٨١ .  
(١١) المصدر السابق ص ٧١ .

الشيخ ابن مدين (أبو الوحيد) في مؤلف بعنوان البيان والمريد<sup>(١)</sup>.

٤ - الطريقة الرفاعية : مؤسسها الشيخ أحمد بن حل الرفاعي المتوفى سنة ٧٨٨ هـ . انتقلت الطريقة الرفاعية إلى اليمن بواسطة الشيخ عمر بن عبد الرحمن بن حسان القدسي المتوفى سنة ٦٨٨ هـ الذي سبأ في ذكره في أحداث النزاع بين الفقهاء والصوفية وكان هذا الشيخ قد أدرك أحد أحفاد الشيخ أحمد الرفاعي وهو نجم الدين الأخضر فأخذ منه الحقة الرفاعية وتربى بين يديه تربة صوفية ( فلما استكمل الشيخ تعليمه أمره أن يدخل اليمن وينشر الحقة الرفاعية هناك )<sup>(٢)</sup> . وفي اليمن اجتمع القدسي ببعض من صوفيتها أمثال الشيخ عمر بن سعيد الحمدي وغيره ويقول المرحوم أنه ( تنقل بعد ذلك إلى عدة أماكن في اليمن واهتم عدة رجب بعد أن نشر الحقة الرفاعية وانتشرت عنه انتشارا كبيرا لاسيما في مختلف جسر )<sup>(٣)</sup> أما البيهقوس<sup>(٤)</sup> فيعتمد بعض من رجالات الحقة الرفاعية في اليمن بعد عصر القدسي وهم إسماعيل الجبرتي ومحمد بن أبي بكر الضجاعي وإبراهيم العلوي المتوفى سنة ٧٥٢ هـ .

٥ - الطريقة السهروردية : نسبة إلى الشيخ عمر بن محمد السهروردي المتوفى سنة ٦٣٢ هـ . لم يعرف شيء من آثار هذه الطريقة في اليمن سوى الحقة المسربة إليها فقد أشار المبدروس<sup>(٥)</sup> إلى بعض إتيانها ومما الجبرتي والعلوي وقد سبق الإشارة إليهما .

٦ - الطريقة النقشبندية : من الطرق الصوفية المتأخرة وقد نشرها في اليمن

(١) طبع في مصر سنة ١٣٠٠ هـ .  
(٢) والشرحي طبقات المومنين ١٠٧ .  
(٣) البيهقوس الميزان الطليق ص ٢٢ .  
(٤) المصدر السابق ص ٢٣ .

الشيخ تاج الدين بن زكريا الهندي النقشبندي المتوفى سنة ١٠٥٠ واحد القاديين فأخذ عنه هذه الطريقة بعض الصوفية كالشيخ أحمد بن محمد بن عجيل المتوفى سنة ١٠٧٤<sup>(١)</sup> وابنه موسى بن أحمد ومن تلقى عنه هذه الطريقة أيضا الشيخ عبد الباقي بن الزين المرحوم المتوفى سنة ١٠٧٤ يقول عنه المصنف ( أخذ طريق النقشبندية عن الشيخ تاج الدين الهندي حتى صار خليفته من بعده في هذه الطريقة )<sup>(٢)</sup> .

ولإذا تجاوزنا هذا النوع من التأثير الخارجي على التصوف في اليمن - والذي ينحصر غالبا في الطرق الصوفية - فنستجد الوفرد الصوفية قد قاصت هي أيضا بدور فعال في بلورة التصوف في هذه البلاد وذلك بإدخال بعض التيارات الجديدة التي لم يكن له عهد بها من قبل كاستحداث النزعة الفلسفية وقيام التنظيمات الخاصة بالصوفية إلى غير ذلك من أمور هربية سرهان ما قبلها صوفية اليمن .

ولعل أهم الوفادات بالنسبة للتصوف اليمني هي وفادة ذى النون المصري الصوفي الشهير وقد أشار إلى رحلته هذه بعض الباحثين من القدامى والمحدثين أمثال عبد الله بن اسعد الياقني الذي يذكر حكاية وقعت لدى ذى النون المصري نفيد دخوله إلى اليمن<sup>(٣)</sup> . ومنهم الباحث المعاصر الأستاذ أحمد أمين الذي يحدد دخول ذى النون إلى البلاد بنحو سنة ٢٣٧ هـ<sup>(٤)</sup> ولا نعرف ما هو الهدف من مجيء هذا الصوفي الكبير إلى اليمن وأظن أنه دخلها بقصد السياحة والتفرج على ملكوت الله كما هو معروف عن هذا الصوفي في زيارته للإمام كن الأخرى

(١) المحي : خلاصة الأثر ج ١ ص ٣٤٦ .  
(٢) المصدر السابق ج ٢ ص ٢٨٣ .  
(٣) الياقني : روض الزاخرين ص ٤٣ .  
(٤) أحمد أمين : فجر الإسلام .



ولا اعتقد أنه كان يرمى بدخوله اليمن (التبصر لشر مذهبه الصوفي) (١) كما  
يقول بعض المعاصرين إذ العصر الذي إدركه الشيخ لم يكن يعرف لغوء الطرق  
الصوفية .

ثم نظري الزمان طبا ونقف عند القرن الثاني عشر الهجري حيث تطالعنا  
فيه عدة وعادات صوفية عامة لم ينحصر أثرها في التصوف وحده بل تعدته إلى  
تطهير الجبري التاريخي البلاد قضي هذا القرن وجدنا بعض الشخصيات الصوفية  
الجريته تتنعم بمهول اليمن وتبشر بالدهوة إلى التصوف متجاهلة في ذلك سخط  
الائمة على الصوفية فقد ذكر الجبري عن أحد القادحين : إلى اليمن وهو الصوف  
المصري على بن عمر القناوي المتوفى سنة ١١٩٨ بآته ( دخل صنعاء واجتمع  
بأمامها وذهب إلى كوكبان وانتظم حاله وراج أمره وتلقن منه الطريقة جماعة  
فاستمال حسن مذاكره ومداراه طائفة من الريدة مع أنهم لا يعرفون الذكر  
— هكذا يقول الجبري — ولا يقولون بطرق الصوفية فلم يزل بهم حتى أجروه  
وأقاموا على الذكر هدموا وكرموا (٢) وكان هذا الرجل قد حقق مدفه في  
تميز التصوف إلى أهل صنعاء وكوكبان على الرغم من عدم موافقة اتباع  
للذهب الريدي لهذه الفقه . والحق يقال أن المعارضة للتصوف بدأت تختفي بعد  
هذا التاريخ في عموم اليمن وعلى الأخص القسم الجليل الذي عرف بمعارضته  
الصوفية . كما أثرنا سابقا .

ولم يصب الصوفية من أهل اليمن ترجيحاً كبيراً فكثرت الوفادات والزيارات  
من سائر أنحاء العالم الاسلامي ولعل أهم هذه الوفادات زيادة الصوفى المغربى

(١) الجليل : الصوفى في نهاية من ١٥٠ .

(٢) عبد الرحمن الجبري : عجائب الآثار في التراجم والأخبار (علا من نشر الصوفى  
المؤرخ ربه ج ٢ ص ٢٥٧) وترجم له أيضا الامدلى في النفس البياضى (مخطوط) .

الكبير الشيخ أحمد بن إدريس الترمذى ١٢٥٣ (١) واستقراره في اليمن ثم قيام  
بعض أحفاده من بعده بتأسيس دولة مستقلة عرفت باسم الدولة الإدريسية وقد  
لبثت دورا كبيرا في التاريخ اليمني .

### سقوط التصوف

أسفر التصوف عن شخصية قوية كان لها الأثر الكبير في تشييع مجرى الحياة  
الثقافية في اليمن وتحويلها من تعاليم حرفية تعنى بدراس التصوف التقليدية إلى  
علوم تعتمد على المراجعيد والأذواق الخاصة ببعض أفرادها وقد كان رجالهم  
الأول من الصوفية العمليين الذين لم يمنهم زهدهم ونسكهم عن الاقتراب  
من الناس والدخول في همومه فانخرطوا في سلك المجتمع وكانوا المجرى من آماله  
وطموحه أمام السلطة الحاكمة واسمع منهم أصواتاً قوية كصوت الشيخ أحمد  
ابن طران الذي يقول للسلطان المظفر الرسول .

دار عليك قصورات مشيدة والرعية دور كلها دمن (٣)

وهكذا يكون الصوفية في اليمن هم الصوت الوحيد المعبر عن الأمة بعيداً من  
التزلف والرياء إلا أنهم سرعان ما أخذوا ينحدرون إلى الهاوية بعد أن خلفهم  
جيل من الصوفية كان همه الأول التمتع بالملاذ والنفاق للحكام ومنذ ذلك التاريخ  
وعلامات الاصططاط تأخذ في التتابع .

فأول هذه العلامات ظهو الصوفية في نقديس شيوخهم وإسباغ حالات  
العظمة عليهم فنسبوا إليهم العديد من الكرامات التي لا يقدر على فعلها إلا رب

(١) انظر خبر قدومه إلى اليمن في النفس البياضى للامدلى (مخطوط) وكتاب دور  
اعور الحور العين للطف الله جفاف (مخطوط) وبل الوتر ج ١ ص ٢٢٣ .  
(٢) السور القولية ج ١ ص ١٦١ ( وانظر رسالته التي بنها إلى السلطان في هذا الصدد  
نشرتها مجلة المحكمة الصادرة بدمشق ) .

الأرباب<sup>(١)</sup> ومنهم من لم يكتف بإضفاء تلك الكرامات إلى شيخه في حياته فأخذ يتقرب إلى طريقه بعد موته ويعتبره من الزارات المقدسة حتى أدى به الأمر إلى الاسيغاة به وطلب تولد الطر عند قبره والتحر له إلى غير ذلك<sup>(٢)</sup>.

أما متأخروهم فقد كانوا وصية حار على الصوفية وقد حولوا تصوفهم إلى نوع الصوفية<sup>(٣)</sup> بملوه وسية الكذب الخاطي فقاموا بأعمال يتبرى منها صوفيتهم الأوائل.

### تاريخ الصوفية السياسي

الملاحظ على تاريخ التصوف أنه لا يمتش إلا في ظل الدول السنية إذ لا مجال له في المذاهب الأخرى حيث نجد شخصية الصوفي تراحم من سواها من الزعامات الدينية الأخرى في مذاهب الشيعة والمعتزلة ومذهب الخوارج وقد ذكر آدم متز أن المعتزلة ينكرون بالسلفية أن يختص بعض المسلمين بالولاية من دون بعض ويرون أن جميع الذين يطعنون الله ويقومون بأحكام الدين هم أولياء الله<sup>(٤)</sup>.

ولا غرابة إذا كان الصوفية في عهد الدول السنية أمية لانهاء قامت على زعامات تفصل بين الدولة والدين وليس لها ك التدخل في الشؤون الدينية

- (١) أنظر على سبيل المثال ما أورده القزويني في كتابه من كرامات كثيرة لصوفية اليمن  
(٢) حين من مهدي النسي : معارج الأباب ص ٥٦ وما بعدها .  
(٣) يذكر المؤرخ يحيى بن الحسين حادثة طريفة فاصلة بينهما سنة ١٠٤٨ لآحمد مروان الصوفية في تلك الفترة يقول ( ولما هذه السنة رأيت كثيراً من عرء الشيخ أحمد بن طوان يأكل خنثاً من أوله حتى بلغ إلى نكته أو ربه وطرح إليه وهو حال أكله يذكر الله ) أنظر بهجة الزمن غلوط بقلم المؤلف .  
(٤) آدم متز : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ج ٢ ص ٤٨ .

من زاربه سلطه العليا الهيدة من كثر من تفاصيل الدين وغالباً ما جعل الملوك من الصوفية مصدر بركة وإمداد خفي لحكمهم .

### تاريخ الصوفية في عهد بني أمية

إذن فعلينا ونحن نؤرخ للصوفية أن نتجه صوب الدول السنية التي حرمت بين، فلم معها شأن كبير، ومنذ الدولة الأموية والصوفية يقومون بكل شعاراتهم في حرية تامة، وقد كان للصوفية اليمن مواقف لا تنس تجاه استبداد الولاة الأمويين . . . وقد كبرون لهم ذلك حكايات كثيرة . من ذلك أن عامل صنعاء من جهة الدولة الأموية محمد بن يوسف الثقفي أراد أن يستميل إلى جانبه الزاهد الجليل طاووس بن كيسان فجهت إليه بهدية قدرها سبعمائة دينار ( وقال الرسول: إن أخذما منك فاني سأحسن إليك ، فخرج الرسول حتى قدم على طاووس وهو بالجند فقال: يا أبا عبد الرحمن نفقة يهتها إليك لأهله . فقال: مالها حاجة . فداراه على أخذما فاني حتى غافل طاووس فرمى بها إلى كوة في بيته وذهب إلى الأمير وقال له أن طاووس أخذما )<sup>(١)</sup>.

وكان طاووس بعيد صلاته إذا صل خلف الأمير أيوب أحمداه صنعاء من قبل الأمويين .  
( ولما رحل إلى مكة قيل له أن أحد الأمراء قدم إليها وأن من فعله وإحسانه كذا وكذا فملا قدمه عليه ؟ فقال لهم نحالي به من حاجة فقالوا : ما نخافه ؟ قال : ليس الأمر كما تظنون )<sup>(٢)</sup>.

وهذا الموقف المفضل من قبل الصوفية يفسر لنا السخط العام الذي لقيه الدولة الأموية . حل أن هذه الدولة الأموية لم تترضى لأحد من

(٢) الرازي : تاريخ صنعاء تحقيق حين المزي وزيله من ٢٢٠٠ .

(١) الرازي : تاريخ صنعاء ص ٢٢٤ .

الصوفية بأذى نظراً لأنهم كانوا في دور التعبد والوجد ولم يدخلوا تيارات الفلسفة  
الصوفية بعد ، ومثل ذلك الموقف المماثل من قبل الصوفية ما يذكر من  
أحدهم أنه لما (رحل الحاج إلى مكة سمع ملياً يلهي حول البيت رافضاً صوته  
بالثنية قال على بالرجل فأتى به فقال الحاج من الرجل ؟ قال : من المسلمين  
فقال ليس من هذا سألتك : قال : هم سألتك : سألتك من البلد — قال من  
أهل اليمن فقال : له كيف تركت محمد بن يوسف - بنى أخاه - قال تركته  
مطعماً جسيماً لئلا يركبوا خراجاً ولا جاجاً . قال ليس من هذا سألتك قال هم سألت  
قال سألتك عن صوته قال تركته ظمناً غشوماً مطعماً للمخلوق عاصياً للخالق  
قال الحاج ما حملك على هذا الكلام وأنت تعلم مكانته منى فقال الرجل أترأه  
يمكث منك أم منى يمكث من الله بارك وتعالى وأنا رافض إلى بيته . فسكت  
الحجاج ولم يحسن جواباً وانصرف الرجل من حجر إذن (١)

### الدول للتعبد والتصوف

وكصادق لما قلنا من أن الدول الشعبية لا تولي التصوف أهمية نجد اسم  
التصوف يكاد يختفي تماماً من تاريخ الدول المستقلة التي حكمت اليمن بعد  
اغراض الوصاية عليها كدولة الصليبية (٤٣٩ - ٥٣٥) وهو حاتم (٤٩٢ -  
٥٦٩) والدولة الزيدية (٤٧٠ - ٥٦٩) وكذلك دولة ابن مهدي الذي كان  
(من قلاء المعتزلة فلم يكن للصوفية في نظامه الصارم مجال) (٢) إلا أن حمارة  
يذكر من نشأة هذا الرجل فيقول (كان والده من قرية العنبر من سواحل  
زيد وكان رجلاً صالحاً سليم القلب ونشأ ولده على ابن مهدي على طريقة أبيه  
في العزلة والتسك بالصالح ثم حاج ودار ولقى حاج العراق وعلماء ماوراءها)

ونطلع من معارفهم وعاد إلى اليمن فاهتزول الناس وأظهر الوفاء وإطلاق العنان  
من ناحية المعسكر وكان فصيحاً قاصداً بالوفا والتفكير وطريقة الصوفية أنهم قيام  
وكان يتحدث بشيء من أحوال المستقبلات فيصدق فكان ذلك من أقوى هذه  
في استمالة قلوب الناس (٣)

إذن فعل بن مهدي هو نفسه من فئة الصوفية . ولكن لا نجد من بعده  
مما دهم من الذين أرخوا للصوفية كما أنه لم يبق بشيء يذكر يوحى إليه إلى  
التصوف ولا لتباعد أن يكون هذا الرجل من جهة الثوار الذين يحملون من  
صفة التصوف ذريعة يتدبرون بها القيام بثورات سياسية .

وقد اكتشف أبو العلاء المعري (القرن الرابع الهجري) هذه الظاهرة في  
ثوار اليمن فقال (كلهم يزعم أنه القائم المنتظر فلا يقدم جباية من مال يصل به  
إلى خيس الآمال) (٤) ويقول (ما زال اليمن منذ كان معدناً المنكيين بالدين  
والخالفين على النحت بالترزين) (٥)

وقد ظهر من مشاكلة ابن مهدي الكثير من الثوار الذين توسعوا بالتصوف  
وليس من شأن هذا البحث دراسة هؤلاء ليحكم من مضمون التصوف الأساسي  
وهو الروحية والبعد عن الاغراض الدنيوية إلا أننا سنقف عند شخصية واحدة  
من هؤلاء هي شخصية التأثير مرغم الصوفي الذي كان لملوك الكوري شأن كبير  
لم يبق عند شخصه وحده بل تعداه إلى من تسمى بالتصوف .  
وقد قام بثورته ضد الأيوبيين نحو سنة ٦١٩ هـ في بلاد الحقل وريد وجبل  
بنو مسلم المسمى سحر فدعا الناس إلى نفسه وأخبرهم أنه داع لإمام حق

(١) حمارة : القيد ٥٢٣

(٢) المعري : رسالة القديان ص ٣٠٣

(٣) المعري : المصدر السابق .

(١) الباني : دونه الرابع ص ٢٤٦  
(٢) القليل : التصوف لثلاثة من ١٩

فانضاف إليه من الناس الجمع المنفر فصار إليه حكر من جهة الأمير نور الدين  
ومعه راشد مظهر بن المرحوم قتال مرهم لمن معه إن قاتلونا قُتلوا هوانهم وقتلنا  
راشد بن مظهر فكان الأمير قال (١) وقد أرماد أصحابه فيه عقبة .

واستحل أمر مرهم فصل رجال الدولة الأيوبية في قلق شديد حتى كان  
من نتيجة ذلك أن قامت هذه الدولة بسبل معاد (٢) للصوفية فبذل كرون (٣) أن  
الملك المسعود كره الصوفية بدعوى أنه إلى اليمن وحالف من لبس المرقعات ونسب  
هذه المرقعة حتى قيل أنه خرج يوما من الجند يريد الصيد فرأى الشيخ فرج النوري  
وطب لبس الصوفية فضرب وقال هذا يخالف أمرى ثم أشار إلى صاحب الفيل  
أن يلقه عليه (٤) .

(١) يمين الدين : ٥٤٦ من ٤١١ .

(٢) الاستعداد لقتل رأي مخالف : فذهب إليه ليوبري أن الصوفية اقتصرت خلال حكم  
الأيوبيين ( والحق على شدة الصوفية ورجلها ولم يكن للدولة منذهب ديني خاص أو مبدأ  
سياسي صريح من الأول ومعاول تطبق أثناء ذلك وأن في رجال الصوف أداة  
مفرجة سلطتها كانت احترام زعمائها ولصالحهم من الضرائب وعدم الخضوع لاتباعهم أو  
الأمرام على رعاياهم وحلفاء الذكر وروح الذكور والفتوح التي كانت تنال عليهم ويخلفها  
رجال الصوف في لحاظ القربى وولود القروى وطالقي القربة ) ( الخلاصة البليغة ج ١  
لد ١٥٥ من ١٥٥ ) .

منا موراني السليل الذي يلاحظ عليه أنه لم يحدد على مصدر يدعمه وإنما أتى صفا  
في كلامه استطرافاً أثناء حديثه من الاستجابات في عهد الأيوبيين ولم يجمع بينه وبينهم مرجع  
لغيره في الحديث . وعلينا هنا عليه هو الصواب لا اعتماداً على أصول القيمة في هذا الشأن ومع  
ذلك فإن أصل الاستعداد رأيه في أن الدولة الأيوبية عادت الصوفية سائمة حنة كبقية الدول  
التي حكمت ليس إلا أن ذلك كان في سبيل أمرهم وقبل أن يجرم مرهم الصوفية بثورته .  
(٣) الحمدي : السلوك (مضطرب)

وكان من أمر هذا التصريف أن وجد عليهم الصوفية وأصبحت كل تصرفاتهم  
موضع دية وشك عند الصوفية ، يقال أنه لما أرادت الدولة الأيوبية أن تقوم  
الممتلكات في اليمن بعد فرائثها من أصحابها ( اجتمع جماعة من الصوفية فاتفقوا  
رأيهم على أن يدخلوا مسجداً ولا يخرجوا منه إلا بعد انقضاء حاجتهم - في إزالة  
الدولة الأيوبية - فدخلوا مسجداً وأقاموا فيه ثلاثة أيام يصومون النهار ويقومون  
الليل فلما كان في اليوم الثالث أو الرابع خرج أحدهم - ويقال أنه الشيخ دحل -  
رفق البحر ونادى بصوت عال يا سلطان السماء أكف سلطان الأرض (١) .

### تاريخ الصوفية في عهد بني رسول

تلك صفحة من تاريخهم مع الدول التي حكمت اليمن قبل الرسولين إلا أن  
تاريخهم الحقيقي يتبدى بهذه الدولة الفتية التي كان من دأبها إحياء التهنيزات  
العلية في اليمن عامة أياً كان نوعها فهم شجعوا شتى طوائف العلماء من العبادة  
والباحثين ولا غرابة في ذلك فقد تصبغ حكام بني رسول بالعلم حتى لا نعدم فيهم  
من يؤلف ويصنف ويناقش العلماء في مسائل البحث .

ولعل بداية تاريخ الصوفية مع الرسولين يتبدى ببداية هذه الدول بل قبل  
لبداية بسنوات عدة ، فالقرطوبس يذكرون تلك الصداقة الوثيقة بين مؤسس  
الدولة الرسولية الملك المنصور حمزة بن علي بن رسول (حكمه من ٦٢٩-٦٤٧هـ)  
وبين الفقيه الصوفي محمد بن أبي بكر الحكيم المتوفى سنة ٦١٧هـ وصاحبه الصوف  
محمد بن حسين البجل المتوفى سنة ٦٢١هـ وما من كبار الصوفية في اليمن . ويقال  
أنهما اللذان قويا حوزته في الاستيلاء على الحكم (٢) بعد معاهدتهما تضمض الدولة  
الأيوبية وتنافس أمراءها فيما بينهم على الحكم . ونحن إذا أدركنا أن موت

(١) بالخرقة : تاريخ حمزة

(٢) الخردجي : الفتوح الأولى ج ١ ص ٨٧ .





شكف عن خوفه . يا يوسف كثر عاكوك وفل عاكوكك فلما عدلوه ولا  
انقصا (١١) اظهر كيف بلغ الإدلال بالصوفية على الملك الظفر إلى درجة أنهم  
يطلبون إزاحته عن الملك وهذا يدل على تسامح هذا الملك ورحابة صدره .

### في عهد الجهاد

ونرى العلاقات بين الصوفية وبين حركتي في عصره لا يتكرر صفوحا فيه  
من حوادث الدولة السعيدة للفتوحات حتى لم يكن بأن عهد الجهاد ( حكمه ٧٣١ -  
٧٦٦ م ) ومن تلاء من الملوك : إلا ويورد شأن الصوفية في الظهور ونجد  
مواهب الروحانية بعد سلطة بني رسول مباشرة ففي عهد هذا الملك توسع الصوفية  
و إظهار شعاراتهم وقد الساعات في أكثر مساجد زيد دون أي اعتراض من  
قبل الدولة وقد ذكر الزجاجي في معرض كلامه الذي يذكر به ابن المقرئ  
حاصل الصوفية وانتماء الدولة الرسولية بهم - أن الملك الجهاد ( كان يعتقد في  
الحق فكبر إسماعيل الجبرتي ويحسن الظن به وقد حصل مقتنيا في زى غريب  
هو وبعض أصحابه إلى مجلس الجبرتي في الليل في مسجد ابن عهد الملك (١٢)  
وعندما رحل إلى مكة وأحد إلى مصر من جهة الدولة المملوكية في قصة شهيرة في  
كتب التاريخ ، ثم عاد إلى اليمن كان أول ما استفسر عنه هو عن جماعة الصوفية  
يقول الزجاجي ( فلما طلب إليه المعرفة إلى الديار المصرية ومن الله سبحانه  
به ذلك برجره إلى بلاد اليمن كان عند توليه بساحل زيد اجتمع بوال زيد  
وهو يلهو أحمد بن أبي المجهاد فكان أول ما سأل عنه أن قال عاد ذلك  
الجبرتي هو وأصحابه على حالهم تلك فقال البوال نعم وأزيد وأحسن . (١٣)

(١١) المصدر السابق ٢٤ .

(١٢) الزجاجي : مداه السالك (مخطوط)

(١٣) المصدر السابق .

### في عهد الأفضل

كانت ولايته بعد وفاة والده الجهاد سنة ٧٦٤ موله مع الصوفية علاقة حسنة  
قد ( كان يرسل إلى الشيخ إسماعيل الجبرتي بعض أصحابه يسألوه الدعاء له  
ولما مر الجبرتي المذكور على مدينة تمر على الأفضل لأصحابه ولبنة كبيرة  
انتموا خلالها السماح فحضره جماعة من مشايخ البلاد وكبرائها ولا أراد  
الانصراف أعطاه الإنعامات والهدايا هو وأصحابه (١٤) .

### في عهد الأشرف

أما الملك الأشرف فقد عهد منه الصوفية كل خير ورعاية . يقول الزجاجي  
مناطبا المقرئ ( أما في دولة مولانا المرحوم الملك الأشرف فلا حاجة إلى شرح  
ما كان يعتقد في سيدي إسماعيل الجبرتي وأصحابه ومحبيه لهم وكثرة إنعامه  
وإحسانه إليهم وحمل السماعات لهم فهذا شيء تعلمونه وتحققونه فهو يخاف  
عليكم ولا على أحد من الناس وعرج ذلك بطول (١٥) .

### في عهد الناصر

وهذا الملك هو آخر ملوك الدولة الرسولية الكبار الذين حفظوا لها المهابة  
والاستقرار واستطاعوا أن يوطدوا الأمن في البلاد ومن بعده أخذت بهم الدولة  
في الانقراض وخلف من بعده خلف لم يستطيعوا مجاراة أسلافهم العظام فتركوا الدولة  
نبأ للظالمين . يقول الزجاجي وهو بصور علاقة جماعة الصوفية مع هذا الملك  
( أما في هذه الدولة السعيدة دولة الملك الناصر فما أحتاج إلى شرح ما أنه طاله  
من محبة مولانا سيدي الشيخ إسماعيل الجبرتي وحسن اعتقاده له وكثرة إنعامه

(١٤) المصدر السابق (مخطوط) .

(١٥) المصدر السابق ١ (مخطوط) .



أخرى ضد الصوفية لا يهاذتهم فيه إلا أن الصوفي الكبير أبو بكر بن مقبول الرولمي المتوفى سنة ١٠٤٢ هـ دعا عليه بقراءه ( اللهم شتت شمله وفرق جمعه ) (١).

وقد كانت بداية أمر الأتراك في اليمن تبشر بعلاقات حسنة بينهم والصوفية وخاصة حينما أظهروا نية طيبة نحوها بدليل تلك الرؤيا التي رآها القائد التركي سفر للصوفي ابن أبي بكر بن عبد الله العيدروس وهو يبشره بفتح اليمن (٢)، وكعمل الرائي حسن باشا بتجديد عمارة ضريح الصوفي أحمد بن طوان في بئر (٣) وقد مال إليهم الصوفية من أهل الجنوب لأسباب مذهبية.

لولا إن المجن قد انقلب عليهم بعد ذلك عند ثورة اليمن عليهم وخروجهم عن الطريق السوي كما أسلفنا .

### • الائمة والصوفية •

تاريخ الصوفية مع أئمة اليمن نوع آخر من العلاقات المتذبذبة بين الحرب والسلام وإن كان يظل عليها التنوع الأول كما سيتضح لنا فيما بعد .

ويبتدى تاريخهم مع الائمة منذ أدرك الامام المهدي أحمد بن الحسين - ( حكمه من سنة ٦٤٦ إلى ٦٥٦ ) - تلك الفعية الطاغية لهؤلاء الصوفية فقد أدرك يصيرته الناقية أنها لا شك ستؤثر على مركزه السياسي في المجتمع اليمني الذي يعتمد في أكثر الأحيان على النفوذ الروحي . وقد أصبح يراحم فيه جماعة الصوفية . فلما رأى هذه الفعية حاول أولاً أن يستميل رجالها للجانبه وقد كتب إلى الصوفي الكبير ابن الغيب بن جميل المتوفى سنة ٦٥٦ هـ رسالة صدرها بالآية الكريمة ( قل يا أهل الكتاب مما آتواكم من كلمة سواء يبتلى

يعود إلى أسباب تعلق بسلوك هؤلاء وبأمر أخرى خرجوا فيها من القاعدة التي دعا إليها ديننا الحنيف ، وقد أجمل القليل في القرن الحادي عشر بقوله ( كانت الأتراك قد طاعت في اليمن ونظر الاناميل بفروهم أولاً من الخور والفقور وبالناس ثانياً من الفتك ونهب الأموال وغير ذلك (١) ولا غرابة بعد كل هذا أن أقام الصوفية بقوتهم ضد الأتراك ومع الذين جندوا أنفسهم لمراعاة الفضيلة فقد ذكر أهل التاريخ ظهور جماعة من الثوار الذين وقفوا في وجه الأتراك وأغلبهم من أهل الجبال كذلك الثار الذي ظهر في بلاد آس نحو سنة ٩٨٦ ولقب نفسه منصور اليمن ونهه ناس كثير من الانصار تمكن هم من طرد عامل الباشا مراد (٢).

ومارال اتفاق يهوى بينهم حتى آخر مراحلهم في اليمن حيث ذكر الواسعي قيام أحد الصوفية بثررة في نواحي تهامة سنة ١٢٠٠ هـ وقد وصفه بأنه ( رجل كان يهوى السر والفرقة بطم الكيبا استطاع أن يجمع حوله العامة من أهالي تهامة وبخاصة من قبيلة خولان الثائرة ودعاهم إلى مناوأة الحكم العثماني في اليمن . وقد وجه الأتراك قوة عسكرية استطاعت أن تهجر هذا الرجل على الهروب وتفرق أبنائه (٣).

أما قبل هذا التاريخ فنجد الأمر العرقي فانصروه حينما طلب من أهل مدينة صنعاء نصيب مبلغ كبير من المال احترت في هذا المسلك الصوفي أحمد بن جطر وقاله أن هذا المبلغ لا يمكن تحصيله لأن الناس متفرقون في الجبال . لا كان من هذا الأمر إلا أن فقه احتجاجاً على قوله ثم أراد أن يقوم بحملة

(١) القليل : نظم الفلح ص ٢٢٢

(٢) يحيى بن الحسين : غاية الأمان ص ٧٥٦

(٣) قول أئمة : الحكم الصادر في اليمن ص ١١٩

(١) العمري : خلاصة الأراج ص ٩٨

(٢) النهر واليه : البرق البتاني ص ٢٥١

(٣) يحيى بن الحسين : غاية الأمان ص ٧٥٦

ويعلم الآفة (١) ثم قال بها (بأنه قصد الاجتماع على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والسلام (٢) ويقول الجدي في تعليقه على رسالة الإمام المهدي (عليه السلام) (أ) من مذهب الشيخ أبو القاسم مع الإمام فاعلم تمامه ما تقول منه (٣).

ولا جدال في القوم الساسي من هذه الرسالة ولو أنها بعثت إلى رجل فمهر أبو القاسم لاحتواها بمركزة الرودح وخاصة أنها من إمام مثل المهدي وقد خصه بها من دون غيره ولكن ليس مثل هذا الإغراء مما يندفع نحوه الشيخ أبو القاسم لتسمع إليه في رده على رسالة الإمام السابقة المذكور بقول (إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يجنلكم فن لا الذي ينصركم من بعده وعلى الله فليؤكل المؤمن) الحديث فالتق الإصباح ومرسل فسيم الرياح إلى فسخة مبدا عالم الإصباح والسلام على سيد الإمام وصباح السلام وعلى آله وصحبه الكرام. أما بعد فقد وصلنا كتاب السيد الشريف بدمرنا لإجابته ولعمري إنها طريق سلكتها الأولون وأقبل عليها الأكررون نعم أنا قرأ منذ سمعنا قوله تعالى (له دعوة الحق) لم يبين فيها منع لإجاء الحق فليس لاحد منا أن يظهر سيفه على نفسه ولا أن يخرط في يوم بدماء طيلم السيد فله فراغنا لما رام وليسط العذر والسلام (٤).

ومكنا اختر الشيخ أبو القاسم بأسلوب متبع عند جماعته من الصوفية بعد أن وضع قبه في حل من أي اتهام فلما الإمام.

(١) الآية ١٦٤ سورة آل عمران  
(٢) بالعصا: السوط (مخطوط)  
(٣) المصدر السابق  
(٤) المصدر السابق (مخطوط) وانظر هذه الرسالة في مرآة الجنان للباقر ج ٤ ص ١٢٦

وعنه في الإجابة ج ١ ص ١٠٥ وقد جعلنا مكانه هنا لأصحتها.

وقد كان هذا الموقف - وقف التجاسي من الآفة - علامة رئيسية انه من الصوفية إلى وجهة الدول السنية ورأياتهم يقبلون ما سواهم حتى أن موقفهم هذا يفسر لنا سر تجمع الصوفية السنية وبهم من الجبال الخاصة بقبو الآفة ويذكرون في هذا الصدد أنه (لما قوى أمر الإمام عبد الله بن حمزة - أو أحد الآفة - نزل الشيخ أبو القاسم إلى تمامه (١) وقد كتب إلى الفقيه محمد بن إسحاق الحضرمي يقول (لقد عرضت على الثقة من بلاد اليمن (الجبال) من أجل ظهور الفتنة فهل توافقني على ذلك فكتب إليه الفقيه يقول إني كثير لبال والأهل والأقارب ولا يمكنني الانتقال بهم ولا يمكنني أن انتقل وانتركهم ولكن على أن أحض جهنم وعليك أن تحمي جهنم فقال الشيخ صدق الفقيه فافهم أن قتل الإمام أو أنه مات عقب ذلك (٢).

ويظل العداء بين الآفة والصوفية مستمر إلى أن يصل ذروعه عند قتل الإمام ملاح الدين محمد بن علي (حكمه ٧٧٢ - ٧٩٣ هـ) الفقيه الصوفي أحمد بن زيد ن طية الشاوري وكان هذا (يقبح الإمام وصنف كتابا (٣) يحذر فيه من البدعة قتله الإمام المذكور إلى بلادته في عسكر كثير ومجموعوا على بيت الفقيه وقتلوه مرومرو أبو بكر وجماعة من أهله وأصحابه من غير قتال منهم بل ظلماً وعدواناً وذلك (٤) سنة ٧٩٣ هـ.

وكان هذا التصرف مظهر تدمير كبير من قبل الصوفية بما فيهم العلامة الكبير.

(١) الفرجي: طبقات الخوارج ص ١٢٣.  
(٢) من المصدر والصفحة.  
(٣) وهذه الكتاب هو الذي تصدق لورد عليه العلامة محمد بن يوسف الفضل في كتابة (الاصناف) الرد على أهل الزيغ والاعتصاف (كما ذكر في المقدمة).  
(٤) الفرجي: طبقات الخوارج ص ١٢٤.

الفتية اسماجل بن أبي بكر القرى المتوفى سنة ٨٣٧ هـ الفنى كتب قصيدة يقول فيها مخاطبا الإمام صلاح الدين محمد بن علي :

أراني الله وأسلحني سلاح	تداره الآئنة والرماح
وقد طلعت وأنت بها صريح	تقاسمك الآئنة والصفاح
لقد أظفأت للإسلام نوراً	بعض العلم منه والصلح لاح
فشكيت بأولئك الله بيا	وجعلوا لنا ولجيك الجناح
وبؤن بسخط ربك لا محمد	ولا أحر وعرضك مستباح
فتكف بأحد فاهد ركن	من الإيمان وانقض السباح
فلا تفرح بسفك دم ابن زيد	فما يرجى لقتاله فلاح <sup>(١)</sup>
فليس له سوى الباري نصير	ولا عند يده ولا سلاح
توقع هلاكك فقد تداني	وقد نهض على الخيل الجناح
شبهت سلاحك المظفر فيمن	سلاحهم الدهاء والإفتاح
نظف الصائمين وهم سحود	يسادون الإله لهم نواح
وما كانوا يهلك أهل حرب	ولا فيهم قتي فيه كفاح <sup>(٢)</sup>

وبعد هذا العمل الخطير من قبل الإمام الناصر صلاح الدين كافة الصوفية يخافون الآئنة أشد الخوف ويحذرون من الاقتراب إليهم وقد ذكر للزجاجي رواية تدلنا على مدى تخوف الصوفية من الآئنة فقال إن (الفتية الصوفى محمد بن موسى بن عجل وقد كان أحد زعماء عصره قد أشرى لإذن الشيخ اسماجل الجبرتي بقوله (أدع الله تعالى يحيى هذا القطر من إمام المشرق وأشار بيده له

(١) أصبحت تلوثة ابن القرى لذلك الإمام له نفس المسألة التي نقل فيها الصوفى أحمد بن زيد الطائري .  
(٢) ابن القرى : هو ابن ابن القرى ص ٣٨٠

نهاء مدينة صنعاء وذمار وأعمالها — واجعل خاطرك بذلك وإياك أن تسهل له ذلك (١) . وهذا نص جلي يبين لنا شدة خوف الصوفية من الآئنة .

### الإمام شرف الدين والصوفية

وتنضم مرحلة من العلاقات بين الصوفية والآئنة لا نجد فيها ما يدفعنا إلى القول بأنها كانت علاقات حسنة وكل ما في الأمر هذا الفتور الشديد الذي يصل أحياناً إلى تخنى الآئنة على جماعة الصوفية دون ما يعبر ذلك سوى بعض المسائل الاحتفادية المخالفة لهم . . . وسنضرب عليها هنا .

وبعد مجيء الأتراك إلى اليمن وجد الإمام شرف أن جماعة من الصوفية يهذلون في نضاله معهم ورسخ في ذهنه أن هؤلاء الصوفية ( يدخلون في الصب بالابناء إليه أو بالتلويح كقول بعضهم أن آل النبي إنما هم من كان أتباعه )<sup>(٢)</sup> لك آخر ذلك فما كان منه إلا أن تصدى لهم وعقد معهم أولاً المناظرات ثم أودع بعضهم السجن والبعض قتله .

وقد ذكر ابن أبي الرجال في ترجمة محمد بن عطف الله العيسى أنه رقت يته وبين الإمام شرف الدين مناظرة وذلك في ٢٣ جمادى الآخرة سنة ٩٢٩ حول الصوفية بعد أن ظهر للإمام جنوح العيسى إلى مبتدع هذا المذهب النكرد ولم يفعل الإمام ذلك إلا لما رأى ميلاً إليهم ونصرته لمذهبهم<sup>(٣)</sup> وبعد المناظرة هدده الإمام بقوله إن لم يقلع عن معتقد الصوفية (عامله معاملة المرتدين وأمره باعتزال زوجاته ثم أمهله حتى يراجع نفسه والا هو مل بالقتل)<sup>(٤)</sup> ثم إن

(١) للزجاجي : هداية السالك (مخطوط) .  
(٢) ابن أبي الرجال : مطلع البدور نقل عن كتاب الإمام شرف الدين (الأنبار) .  
(٣) ابن أبي الرجال : المصدر السابق نقل عن سيرة الإمام شرف الدين للزجاجي .  
(٤) المصدر السابق (مخطوط) .



المبسى رجع عن معتقده وذلك بعد أن عذب وحذب وكتب رسالة بين فيها رجوعه عن التصوف ( سذكر ما في موضع آخر (١) .

يقول ابن أبي الرجال - وهو يصور حالة الصوفية في عهد الامام شرف الدين وذلك قبل انهام المبسى ببله إلى الصوفية - ( وكانت قبل ذلك خدمت نارهم وقل تظاهرهم بذلك واشتارهم وبها حدهم وانفل ودرس منهج ساوكلهم واضمحل إلا من تخفى بذلك الرفص والتصفيق والغناء في البيوت وما كان سبب خذلانهم إلا ما صار يصدر عن الامام شرف الدين من التهي عن اتباع التصوف ، والزجر عن السلوك في تلك المسالك من أول دعوه (٢) .

ولم يقف الأمر عند محمد بن عطف الله المبسى بل نهج الامام شرف الدين قد أخذ عبد الله بن القاسم بنفس الجريمة السابقة وكان هذا قد ( طلق قلبه بالتصوف بسبب رجل يقال له الشيخ على الجبرتي وصل إلى الظهريين من بلاد حجة والسيد عبد الله هناك فمال معه ولازمه ودار معه في الأمصار فلما ظهر منه اعتقاد الصوفية حبسه الامام في حصن العروس وأغلظ عليه (٣) ثم أطلقه بعد أن كتب رساله يقرأ فيها من مذهب الصوفية (٤) .

على أن موقف الإمام شرف الدين من الصوفية لم يقتصر على السجن فقط بل تعداه إلى قيام الإمام بقتل بعضهم . يقول المؤرخ يحيى بن الحسين في حوادث سنة ٩٤٢ ( وفيها أمر الإمام شرف الدين بقتل الفقيه حسن بن أهل الجدر (٥) )

(١) انظر ما في قسم الملاحق فوجد رأينا لوجا هذه الملاحق بعد أن رأينا نوسم الكتاب  
(٢) ابن أبي الرجال : المصدر السابق .  
(٣) المصدر السابق مخطوط .  
(٤) انظر ما في قسم الملاحق .  
(٥) كذا ورد اسمه في غاية الأمانى وفي الطبع باسم حنين بن يحيى الجدر .

لما ظهر منه العمل بعقيدة ( الشطاحين ) من الصوفية ومال إليه كثير من الناس واستتابه الامام ولم يثبت (١) وقد توسع في هذا الخبر ابن أبي الرجال وهو ينقل عن مصدر قديم للزريقى وقال انه - أى الإمام شرف الدين - لم يكلف نفسه من صفة حسن بن يحيى الجدر كما فعل مع المبسى وذلك ( لعدم رسوخ الجدر في المناظرة حسن بن يحيى الجدر كافتة صعدة وجد عند بعض متصوفها كتابا من العلوم ) ثم ( لما فتح الامام مدينة صعدة وجد عند بعض متصوفها كتابا من الفقه حسن الجدر فيه التحريض له على البقاء في التصوف وأنه لا يروعه الكلام والزجر من الامام شرف الدين فلما رأى الامام ذلك هم بقتله وأشار إليه بعض الماخرين أن يحبسه فأمر الامام ابنه على شمس الدين بحبسه ثم إن الفقيه حسن الجدر حلف بالله الايمان المغلظه أنه قد خرج عن هذا المعتقد سرا وجهراً وأن هذا الكتاب كان قبل استتابه ابن عطف الله المبسى ورسائله ، فقبل الامام عذره واشترت الحالة إلى شهر صفر سنة ٩٤٢ ثم ظهر منه البقاء على مذهبه المشؤوم وأنه من الكفر فأمر الامام بقتله في ضحوة نهار الجمعة ٢١ من شهر صفر المذكور بلفة صفا (٢) .

ومكنا كانت علاقة الامام شرف بالصوفية تطور من سيء إلى أسوأ وأنها ليست بأحسن من سابقتها من الأئمة الذين تقدموه .

### الصوفية والدولة القاسمية

بدأت الدولة بالامام القاسم بن محمد ( حكمه من ١٠٠٦ - ١٠٢٩ هـ - ) الذى يعتبر من فحول العلماء المصنفين وقد سبر أغوار مذهب الصوفية فلم ير فيه رأيا حسنا فكان من شأنه أن تصدى للرد عليهم في مؤلف كبير بعنوان ( حلف

(١) يحيى بن الحسين غاية الأمانى ص ٦٨٠ .  
(٢) ابن أبي الرجال مطلع البدر ( مخطوط ) .

أنت الإلفك<sup>(١)</sup> شرح فيه قصيدة له أسماها (الكامل المتدارك في بيان حال الصوفى الخالك) وما جاء فيها قوله مرصفا بالصوفية :

فينا التلاوة والواظ والجمادى      واليمن عندهم بركة محمد  
فينا الصلاة والزكاة وصومنا      وجهادنا أحد بذاك أحد  
والرفق عندهم وكل محرم      والمباحثات وقولهم أطرق مد

وعلى هذا السنن المعادى للصوفية إما كانوا كذلك الحادثة التي يروونها المذخور يحيى بن الحسين في كتابه بهجة الزمن يقول في حوادث سنة ١٠٧٤ (وفيها أو التي قبلها أحرق الإمام المتوكل على اسماعيل كتاب (النصوص) لابن عربي بناء على ما فيه من كفر محمد<sup>(٢)</sup> وكتاب النصوص من كتب الصوفية فنحن من هذا العمل هداه الإمام المتوكل على الله اسماعيل للصوفية وإن كان الأمر يبدو بسيطا نظرا لأن هذا الكتاب من الكتب التي يتبرى منها الصوفية المعتدلون ومع ذلك فما زال موقف العلماء تجاه الصوفية سيظروا على الأئمة حتى آخر إمام وهو الناصر أحمد بن يحيى عبد الدين الذي قام بهدم طريح الصوفى أحمد بن طوان في بفس وأخرجه أخرى لكبار الصوفية في المدينة وتم<sup>(٣)</sup> وقد قلل القاهر محمد محمود الزيدى مثمرا إلى صلب الإمام ذلك :

كنك الجيد إما رافضا طبا      أو باعنا أما أو مادما صنما  
قد اقتلعت قباب الفرك متخذا      مكاة البحر والهندية ليلخدا  
حطم عقبرا خطير القمان جايه      لولا عربتك العلماء ما انحطما  
جرح على كبد الاسلام منسج      وضعت فيه شعاع الشمس قاتلأما

(١) هذا الكتاب مخطوط ضمن كتب الياسم سنة ١٢٠٠ (علم الكلام)  
(٢) يحيى بن الحسين : بهجة الزمن (مخطوط)  
(٣) زيارة : أشية اليمن : القسم الاول من ٢٠٠

وعلى العموم فإن الموقف بين الفريقين كان موقف خصومة ومحاربة وقد سدد فيه لهذا العهد في القرن العاشر العلامة محمد بن يحيى جيران النول سنة ٩٢٧ الذي أخذ على صوفية زمانه هداهم القديد للأئمة يقول (ومن قانصهم مخالفتهم ومبايئهم للأئمة فهؤلاء القوم الصوفية نبذوا أهل البيت ورواه ظهورهم وقرروا الناس من انبائهم ولجسورهم إلى الاتحاد في الدين بل المخرج من خيلة للسلط<sup>(١)</sup> هذا من حيث هداه الصوفية للأئمة أما من حيث هداه الأئمة للصوفية فقد أشار إلى ذلك العلامة صالح بن مهدى القليل المتوفى سنة ١١٠٨ في كتابه العلم العامخ يقول (وقد من الله علينا في اليمن بحسم مادة الصوفى في جبال اليمن بسبب الإمام القائم فيها وكان من أصل ما جاء به منع القولين<sup>(٢)</sup> من الملب لأن مذهبهم تحريم الغناء ومن غريب ما روى بعض العلماء أنه احدى للإمام (النصوص) كتاب ابن عربي وكانت له جارية مسخوبة<sup>(٣)</sup> قال لا طه أوتدوا هذا الكتاب وأخبروا عليه قرصا وأطمعوه هذه الجارية فقتلوا فكانوا نطقت من مقال<sup>(٤)</sup> ثم سألت الإمام من ذلك وحكيه له ما قيل فقال نعم

(١) ابن جيران : الكف واليان (مخطوط) .

(٢) التمايل والرفق (تاج النروس) .

(٣) بقوله أو ما يظرب هذا للمنى (تاج النروس) .

(٤) ومن هذه الحكاية ما يذكره ابن الأثير من أنه (ولم يه طرس لمسيل زيادة على سنة ونصف ولم يتم فيه دواء وأعي الألباء وجاني جس هباء سنة : يكتب اسم (الانسان الكامل) تأليف الجليل من كتب الصوفية ومنه القشور به على غير أنه (طالعت الكتابين وكنت قد قرأت الأولى منها من أيام ثم رأيت فيها ما هو والله كفر لا يردد فيه ذو لسان لمعقتها ثم جلست أوراها في النور ونخزلت على فرس حلتز نصيب وأكلته بنية النقاء من ذلك الهداء فلحبت محمد الله الألم ونست الليل أو أكثره وحضت الله تعالى على نصرة دينه) (أظهر جيران ابن الأمير ص ٢٢٩) .

فلما ذلك نفثت هذه الحارقة عارضت خوارق بن عربي (١) .

ومكثا كانت العداوة بين الفريقين تنوارثونها جيلا لجيلا وهي تميل في بعض الأحيان إلى أسباب سياسية بحثة كخشية بعض الأئمة من نفوذ الصوفية الروحي وتنفير العامة من اتباعهم كما رأينا في نص ابن جبران السابق أو أنها ترجع إلى أسباب مذهبية يتفق الأئمة بها مع فريق الفقهاء الذين نقدوا الصوفية لأسباب تتعلق بأمور الدين وخروج هؤلاء عن قاعدة الطريقة الإسلامية ولا يتعدى هذا العداء أحد الأمرين .

### « استعمال الأئمة للصوفية »

وحينما وجد الأئمة أن صوفية اليمن يتمتعون عنهم وخاصة أولئك النفر الذين قطنوا المناطق السهلية وبعض بلدان الجنوب رأوا أن في ذلك خطرا كبيرا يهدد مراكزهم الروحية والسياسية فإذ كان منهم إلا أن استعاضوا عنهم بجماعة من صوفية الجبال قربهم إليهم واخذوا عليهم المال لعل فيهم ما يسد النقص ويبد عن الأذمان ما طلق بها من أن الأئمة كانوا يحاربون الصوفية والتصوف من حيث أصله فقد وجدنا الإمام الناصر صلاح الدين الذي قام بعمله في قتل الصوف الجليل أحمد بن زيد الشاذلي . يتقرب إلى الصوف الكبير إبراهيم ابن أحمد الكينسي المتوفى سنة ٧٩٣ هـ ويرحل إلى دمار لقصد زيارته وطلب الدعاء منه وكان يقول ( استغفر الله من قصصنا في حق هذا الإمام (٢) ويقول للؤرخ يحيى بن المهدي ( كان الإمام صلاح الدين يلازم الكينسي في كل عام إلى دمار وإن كان في صنعاء ففي الشهرين يزوره في الليل في خلوه خالية . ) ولعله من الغرابة بمكان أن هذا الإمام الذي عرف عنه عدم ميله إلى الصوفية

(١) المجلد : العلم العائلي ٣٨١ .

(٢) يحيى بن المهدي : صلة الإخوان ( مخطوط ) .

كان على علم تام بعلوم الصوفية ومواجيدهم وقد اختلف له بهذا معاصر الصوف ابراهيم الكينسي يقول ( يعلم الله أني ما وجدت في علوم المعاملة وعلوم أهل الحقيقة ووظائف هذه الطريقة ومكاشفاتهم في وقتي هذا أعرف من الإمام الناصر ) (١) .

وقد حوت مكتبة الإمام الناصر بعض كتب الصوفية النادرة يقول من وقف عليها - وهو الكينسي السابق الذكر - ( قد شاهدت عنده كتابا غريبة في علوم الزهاد وحكايات الأولياء ما لم أراه إلا عنده منها كتاب كيمياء السعادة للفرزالي وأجزاء من إحياء علوم الدين ) (٢) ولعل ذلك من باب معرفة الشيء . وإذا كان هذا موقف الإمام الناصر بما أمر عنه من قتل الصوف الشاذلي لا يالك بينهم .

### « مؤلفات الأئمة في التصوف »

على أنه يجب أن نعتبر سلوك بعض الأئمة المعادي تجاه الصوفية سياسيا بينما تقتضيه الأوضاع الخاصة بهم من حيث تنافس الفريقين في استئالة الناس عن طريق التأثير الروحي وبعض الزعامات الدينية . وإلا لما هناك عداوة . وقد رأينا بعض الأئمة المعتدلين الذين لا هم لهم في النفوذ السياسي يتسلطون مع الصوفية بل نهد منهم من لم يسكتف بهذا كما هو الحال عند الإمام المؤيد بالله يحيى بن حمزة المتوفى سنة ٧٤٩ هـ الذي كان يردد التناء على الصوفية حتى أن الصوف عبد الله بن أسعد البافعي يستغرب من أن الإنكار على الصوفية لا يصدر إلا من قبل أهل ( السنة ) ( مع أن إمام الزيدية العلامة الفاضل يحيى بن حمزة كان يستحسن القصيدة التي كتبها في التناء على الصوفية وقد أخبرني بعض الأصدقاء

(١) المصدر السابق .

(٢) المصدر السابق .

قال رأيت في حراز من بلاد اليمن وقد أتى غازيا للإسماعيلية في جيش كثير فلما علم أني قاصد الحج قال لملك تأييني أو قال عسى أن تأييني بعسى من كلام الباقى (١).

إذن فلا تستغرب إذا وجدنا الإمام يحيى بن حمزة يضع مؤلفا حافظا للتصوف يعتبر من أهم ما تركه أهل اليمن في هذا الباب من حيث التقسيم وسلامة التعبير بل إنه يدخل من ضمن الكتب النادرة التي تناولت سلوك المجتمع على مستوى شامل وعالجت مسألة سبلات الأفراد الخاصة والعامة.

وهذا الكتاب — ويسمى ( تصفية القلوب عن دن الأودار والذنوب ) (٢) بناء على أبواب رئيسية فهم منها معنى الكتاب وقضاياها وهي :  
المقالة الأولى : في الرياضة وتهذيب الأخلاق :  
المقالة الثانية :

المقالة الثالثة : في بيان الصفات المملكة .

المقالة الرابعة : في الصفات المنجية في بيان الأمور المعتادة نحو الأدب في الأكل والشرب الخ ..

المقالة الخامسة : في بيان أخلاق النبوة وذكر المعجرات الباهرة .

المقالة السادسة : في الصلاة .

المقالة السابعة : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

المقالة الثامنة : في الزهد .

(١) الباقى : مراكمة الجنان ج ٤ ص ٣١٥ .

(٢) مخطوط بمسكبة الجامع برقم ( ٧٧ ) محفوظ ومنه نسخ أخرى مصدقة على الأصل كتابنا مؤلفات حكماء اليمن .

المقالة التاسعة : في الغرور .  
المقالة العاشرة : في ذكر الموت .

ومن هذا التقسيم يبدو لنا جليا تأثر الإمام يحيى بن حمزة بأسلوب النزالي في كتابه الإحياء حتى كان هذا دافعا للواسمى في القول بأن الإمام يحيى بن حمزة لم يأت كتابه بحر النزالي في الإحياء (٣) وما ذاك إلا من حيث التقسيم إذ في الكتاب أمور انفرد بها وحده كنظرته العامة للمجتمع وسياسته السلوكية الدينية .

على أنه لا مفرجة في اطلاع الإمام يحيى بن حمزة على كتاب الإحياء حيث تنهد قائمة كتبه إلى مؤلف مختصر بعنوان ( عقد اللآل في الرد على أبي حامد النزالي ) (٤) انتقد فيه القسم الناعم بالسماح من كتاب الأبياء وهذا دليل على قراءة الإمام رحمه الله الإحياء .

والآن وقد عرفنا إيجاب الإمام يحيى بن حمزة بالصوفية وتأليفه في علومهم فلا طينا إلا أن تلخص إلى غيره من الأئمة الذين اهتموا بالتصوف وفنونه فمنجد في قائمة مؤلفات الإمام المهدي أحمد بن يحيى المراضى المتوفى سنة ٨٤٠ هـ هذا عناوين توضح باهتمامه بهذه الناحية ككتابه ( تكملة الأحكام والتفصيل من من بواطن الآمات ) (٥) وله عليه شرح في مؤلف ضخمة بعنوان ( ثمرات الأكام ) (٦) وهذا الكتاب على به جمع فقه من صوفية اليمن فشرحوه وطلوا عليه كشرح صلاح الدين الجعافى المتوفى سنة ١٠٥٣ وشرح الحسن بن أحمد الجلال

(١) الواسمى : فرجة اليوم والخزن ص ١٩٥ .  
(٢) مخطوط : بمسكبة الجامع برقم ١٠ جامع .  
(٣) مخطوط : بمسكبة الجامع برقم ٧٥ صوف .  
(٤) مخطوط : بالمسكبة البريطانية برقم ٢٩٢٧ .

(٥ م — تصوف الفقهاء)

المتوفى ١٠٨٤ هـ وغيرهما وللإمام المهدي عدة رسائل مختصرة تدخل ضمن كتب  
الصوفية كرسالة ( حياة القلوب المهيأة لعبادة علام الغيوب )<sup>(١)</sup> و ( الزهرة  
الواهرة بتخفيف الدنيا وتنظيم الآخرة )<sup>(٢)</sup> وغيره .

وآخر من تذكره من الأئمة المؤلفين في التصوف الإمام عز الدين بن الحسن  
المتوفى سنة ٩٠٠ فقد ترك في علم التصوف كتابا جيدا بعنوان ( كنز الرشاد وزاد  
المعاد )<sup>(٣)</sup> وهو يتميز على سائر الكتب المصنفة في علم التصوف عند اليعنبيين بحسن  
التبويب ووضوح العبارة وقد قسمه إلى مقدمة وفصلين وخاتمة وهو في عمومته  
يدور حول الجانب العقلي من التصوف ولم يتعرض إلى شيء من العلوم التي  
تبرزها الصوفية من أبعاد ابن عربي بل سجدته يحذر في مقدمة الكتاب من تلك  
العلوم ( العاطفية ) وينقل في ذلك قصيدة جاء فيها قوله في الرد عليهم :

تركوا الفرائع والحقائق واقتدوا بطرائق الجهال والضلال  
فاحذرهموا واحفظ مودة سادة قاموا بذكر الله في الأصال<sup>(٤)</sup>

ومكنا تنابع مؤلفات الأئمة في التصوف إلا إنها تدور كلها حول الجانب  
العقل من التصوف ولم نجد أحدا منهم يخوض في فلسفات صوفية أو أفكار تبعد  
على الجانب السني المأثور عن جيل الصحابة وزهاد المسلمين .

## مَدْرَسَةُ ابْنِ عَرَبِي فِي التَّصَوُّفِ لِيَمِينِي

(١) مخطوط : مكتبة الجامع رقم ٢٧ فرائض .  
(٢) مخطوط : مكتبة الأميروزيعة وآخر مكتبة الجامع رقم ٦٠ مجاميع .  
(٣) طبع سنة ١٣٤١ بتصحیح الشيخ عبد الواسع الراسي ثم أعيد طبعه أخيرا وصدر  
ضمن مؤسسة فضائل التجارية .  
(٤) عز الدين بن الحسن : كنز الرشاد ص ١١ .

## ابن عربي واليمن

لا توجد هناك صلة تذكر بين الشيخ معين الدين بن عربي واليمن إلا إذا اعتبرنا هذه الصلة من خلال نسبته إلى قبيلة ( طى ) (١) التي يعتبرها المؤرخون من القبائل اليمنية ويسلمون نسب جدهم طى إلى قبيلة كهلان اليمنية .

وحسب هذه النسبة يبدو أنها بعيدة جداً حيث أن قبيلة ( طى ) سكنت ( جبل أجا وسلمى ) من بلاد نجد فكانت ديارهم من دون ( فهد ) إلى أقصى ( القريات ) (٢) ولم تسكن في اليمن ، ومن هنا لا ترى صبيبا في جعلها من القبائل اليمنية إلا إذا اعتبرنا ذلك من خلال جدهم الأول .

ومن الغريب أن يرحل الشيخ ابن عربي إلى شتى بقاع المعمورة دون أن يرحل إلى اليمن، وقد كانت قرية منه جداً حينما كان في مكة . يقول بلاهوس وهو أحد رحلات الشيخ أنه رحل إلى مراکش وتونس ومكة ومصر وبغداد والوصل والقدس وأنطاكية ودمشق وحلب وقولبة (٣) . وما كان أقرب من اليمن من كل هذه الأماكن . لولا أن الشيخ ابن عربي قد خفى من خطورة المعنى .

١ - اليك سلسلة نسب الشيخ معين الدين ابن عربي كما ذكرها مصطب التراجم :  
عبد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله الطائي الحائمي الأندلسي المرسبي ( العهد العثماني  
لغاسي ج ٢ ص ١٦ ) .

٢ - خير الدين الزركلي : الإعلام ج ٢ ص ٢٢٧ .

٣ - أمين بالاسيوس : ابن عربي ص ٥٣ .



إلى اليمن وخاصة أنها قد شهدت في هذه الفترة معارك طاحنة بين الصوف القديسة  
والمستحقة ولا نستبعد ذلك فقد عاصرت هذه المرحلة قيام الدولة الرسولية  
وما صاحبها من حروب عنيفة ليس للشيخ ابن عربي قدرة عليها على أن ابن عربي  
لم يبت كل الرشاخ التي تربطه باليمن حيث استعاض عن رحلته إليها باللقاء مع  
جماعة من علمائها الكبار منهم المحدث اليمنى الشهير محمد بن إسماعيل بن أبي  
الصيف المتوفى سنة ٦٠٩ الذي ذكر اجتماعه به وأخذ عنه في كتابه (الفتوحات  
المكية) (١). وهو اليمنى الوحيد الذي صرح باسمه في كتابه.

### مدرسة ابن عربي في اليمن

إذا عرفنا هذه الصلة العنيفة بين شخصية ابن عربي واليمن فسنجد أن اليمن  
قد حوت تلك باحتضانها لتعاليمه منذ مدة مبكرة.

وكانت البداية أولاً على يد جماعة من الصوفية اتفقوا معه في المذهب الصوفي  
ولم يكن لهم به صفة. فقد شهد القرن الذي توفي فيه ابن عربي تبلور تعاليم  
المدرسة (الأشراقية) عند صوفية اليمن الذين قد يكونون متأثرين فيها بالمصادر  
التي أخذ عنها ابن عربي نفسه، ولا نستبعد ذلك حيث نهد أفكار الحلاج ومن  
سار في مسلكه قد راجت في اليمن قبل هذا التاريخ بعدة ليست بالقصيرة.

وقد تماطى هذه الفلسفة الصوفية جماعة من رجالات اليمن الكبار كان على  
رأسهم الصوفي اليمنى الكبير أبو الفيث بن جميل الذي حملت كتاباته الصوفية  
طابع المدرسة الفلسفية سواء إن كان متأزراً فيها بأبن عربي — على الرغم من  
معاصره له — (٢) أو بأسلافه من الأشراقية أمثال الحلاج والسهروردي

(١) ابن عربي : الفتوحات المكية ج ١ ص ٧٥٧.

(٢) ولد الشيخ أبو الفيث سنة ٥٦٠ هـ تقريباً وهو نفس السنة التي ولد فيها ابن عربي  
على أن أبا الفيث تسمر بعد ابن عربي بمدة طويلة.

ولغيرهما. وقد أراد الأهدل ابن ينفى الكتاب المنسوب إليه بأقوال لا تعتمد على دليل  
مذهب بانيه وصريقول (واعلم أن الكتاب المذكور من المدح إلى المدح أي الفيت جميل يقع  
فيه كتبه مما يشبه مقالات ابن عربي من الاتحاد لكن الكتاب لا يصبح له سند  
يعتمد عليه لأن المشهور أن الشيخ كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب ولا يعرف حق  
محقق ضابط كتبه عنه بل جمعه من جمعه من مقالات متفرقة لا تثبت أحادها بروايات  
عنه صحيحة مسموعة) (٣). وبمحاوول في هذا الصدد أن يرجع نسبة الكتاب إلى  
الشيخ أبي بكر البجليوى أحد المتشبهين إلى مدرسة ابن عربي من المتأخرين (٤)  
ودعوى أن الشيخ بن جميل كان أمياً لا تفي عنه أن يصف كتابه بواسطة الإملاء  
على أحد مربيه كما فعل في رده على رسالة الإمام أحمد بن الحسين يقول الجندي  
(لما وصل كتاب الإمام إلى الشيخ قال لبعض أصحابه أقرأ كتاب الفريفة فلما  
فرغ قال يا غلام على بدواة وقرطاس فلما حضر قال الشيخ اكتب أن ينصركم  
الله الخ) (٥) وهذا يدلنا على أن الشيخ كان باستطاعته أن يصف كتاباً بواسطة  
الإملاء كما فعل حين كتب جواب الإمام ولا يصح أن نعتقد قول ابن الأهدل  
مادام الكتاب منسوباً إلى الشيخ أبي الفيث والمهم أننا نستطيع أن نؤصل تعاليم  
ابن عربي في اليمن من عصر الشيخ أبي الفيث الذي أدرك حياة ابن عربي وكان  
قد أثر عنه في كتابه الذي أشار إليه ابن الأهدل ما يقبى أفكار الشيخ ابن عربي  
مثل قوله ( أن الكون كله صورة واحدة ظاهراً شريعاً وباطناً حقيقة ) (٦)

(١) الأهدل : كشف النطاء ص ٢٢٠

(٢) الأهدل : نفس المصدر والمنفعة .

(٣) الجندي : اللوك (مخطوط) .

(٤) الأهدل : المصدر السابق ص ٢٨٠ .

وقوله ( لا شك أن التوفيق شقاء تشبه إيمان كل مخلوق هل قدر علمه ومعرفته سواء كان موافقا للنبي (ص) أو مخالفا له بقينا )<sup>(١)</sup> ومن ذلك قوله ( من عرف الله انكرو وجوده الفلق وصار أمل الجنة والنار بأمره لحر ما يشاء )<sup>(٢)</sup> ومن أقواله في هذا المذهب ( ان طائر الفجر يفتح بلسان الازل ويرتل في سحر الاحدية )<sup>(٣)</sup> إلى غير ذلك من أفكار نجد ما عند اتباع ابن عربي .

ومن الذين يدخلون في زمرة مدرسة ابن عربي من صوفية اليمن القدامى الشيخ أحمد بن طوان المتوفى سنة ٦٦٥ وكتابات من مزيج من الوهظ الصوفي وبعض الأفكار الفلسفية حتى ان المستشرق ماسينيون عده من جملة أتباع الحلاج<sup>(٤)</sup> الذي يبحث غالبا في الوهظ الديني وبعض الأفكار الصوفية الفلسفية كما أنثرنا سابقا على أنه امتدحت في كتاباته نوعا جديدا من التعبير بلغة غريبة وهم أنها لغة خاصة به ولا يبدو الأمر ان يكون من أسباب افراطه في الرياضة ومن نظرة سرية إلى حناوين كنه يتضح لك تلك الوجهة التي تميز بها تأليف ابن طوان من ذلك كتابه ( البحر المشكل الغريب )<sup>(٥)</sup> وكتاب ( الفتح المصورة والاسرار المخروقة )<sup>(٦)</sup> وكتاب ( التوحيد الاعظم )<sup>(٧)</sup> وغيره .

(١) المصدر السابق : نفس الصفحة

(٢) المصدر السابق .

(٣) المصدر السابق .

(٤) ماسينيون جلة للورد العدد ٣ سنة ١٣٩٢ ص ٦٢ بل نسب إلى ابن طوان كتابا جنونا ذكرى الحلاج .

(٥) مخطوط بالسكينة الاسمية .

(٦) مخطوط بمجمع ترم بمصر موت في جلد ضخم .

(٧) مخطوط بمكتبة الماسم ٨٥ تصوف : المكتبة القزوينية .

وبالذين الرجلين - ابن أبي الفيف و ابن طوان - قامت مدرسة الفلسفة الصوفية في اليمن إلا أن قرنها المباشر من صرا ابن عربي لم يجعلها مستغنيا عن كتاباته الخاصة وإنما كان ذلك من خلال المشرق الفوق الذي عرفه به عالم هذه المدرسة وهم ينهلون جميعا من الانبعاث الذي سار عليه اصلافيهم في مرام في الحب والقرب وغيره من إشارات الصوفية .

على ان تكون مدرسة ابن عربي في صورتها الحقيقية التشيئة إليه كان في القرن السابع بواسطة احد القادمين إلى اليمن - ولم يكن للاطال يد في لغاتها - إذ تنسب لتأليم ابن عربي في اليمن إلى قادم هو الصور أبو الخطاب عربي عبد الرحمن بن حمدان المتوفى سنة ٦٨٨ هـ وقد أتى إلى اليمن بأمر من بيته نجم الدين الاخضر كما أشرنا إلى ذلك في فصل سابق ولكن للقدس فيها منطقيا وحل إلى نحو فمين بها مدرسا بمدرسة أم السلطان في مغربة بمز<sup>(١)</sup> وهذا الشيخ هو الذي ادخل كتب ابن عربي إلى اليمن ولم تكن معروفة من قبل<sup>(٢)</sup> .

وقد اثمر مكوثه في اليمن بظهور جماعة من التلاميذ أمثال محمد بن سالم ابن الهاء الذي تقرب بحب مذهب ابن عربي فكان يتباحث هو وشيخه في طرم التصوف بما لا تختمه العقول<sup>(٣)</sup> إلى أن اتج ذلك وجود أول نزاع بين الفقهاء والصوفية كما سنبينه فيما بعد .

وما كاد ابن الهاء يتوفى حتى تأتي أفكاره غرسها في شخص تلميذه رضي الدين أبو بكر بن محمد بن عمر الجبوي المعروف بالهراز يقول

(١) من إحدى أقدام مدينة تمز الرئيسية بعد المدينة والحالب .

(٢) الامدل كشف النطاء ص ٢١٨ .

(٣) الجنى السلوك مخطوط .

الخروجي (ربما أخذ عن ابن المقدسي) (١) وقد تصوف وصحب كبار الصوفية من أهل اليمن وغيرهما ثم حج إلى مكة ولقى بها جماعة من مشايخ الصوفية. وفي مكة حصل على مؤلفات ابن عربي وانتسخ كتاب الفتوحات المكية فمكث عليها واعتقد ما فيها ثم عاد إلى اليمن ونشر بها تعاليم ابن عربي.

وهذا الرجل هو من أنقط أنصار ابن عربي في اليمن وأكثرهم خبره بأمر اللطافة فكان يقرب إلى (تقاء) ثم وغيرهما مع تحققه أنهم يكرهونه وربما أسأوا إليه وأحسن إليهم (٢) إلا أنه كانت له مع رجال الدولة علاقة حسنة فلم يستطع القضاء أن يمسوه بأذى يقول الخروجي (ووصل بينه وبين الملك المؤيد اتلاف وصحب قبل تحول الملك إليه واعتقد صلاحه ولما صار للملك للالأشرف نفوذ وخرج هو وجماعة من المتبعين إليه من تيمر إلى ناحية وصاب. ولم تنض إلا مدة وجيزة حتى مات الأشرف وتولى المؤيد فاستبدطه وأكرمه (٣) وربما تناطى شيئا من الأمر بالمعروف والنهي عنه المنكر خلافا لزملاءه من الصوفية فكان ينفذ في إبطال الخمر (وبما اشارته انتقلت الأوقاف من حكم النعرج إلى أرباب الهواوين ولم تكن من قبل إلا إلى حكم الشرح الشريف) (٤) على أن الأصل - كما أنه في الإنكار على هذه الطائفة من المتبعين إلى ابن عربي - يستريب في هذا المسلك ويقول (لعله فعل ذلك تقربا إلى الدولة فان حادة هذه الطائفة أضى أرباب ابن عربي التعجب إلى الدولة حتى جعلوا السلطان الجائر من الإهمال (٥) توفي ابن الهواز بعد انتقاله إلى مدينة زيد

- (١) الخروجي: العقود الأولي ج ١ ص ٣٨٩.  
(٢) الجندي: السلوك مخطوط.  
(٣) الخروجي: طراز أحلام الزمن مخطوط.  
(٤) الخروجي: العقود الأولي ج ١ ص ٣٨٩.  
(٥) الأصل: كشف النظار ص ٢١٨.

٧٠٩ ويقول النشاري وبموت ابن الهواز تنقضي مرحلة أول من مراحل إبداع ابن عربي في اليمن (٦) ولا يتجدد أمرهم إلا بعد النصف الثاني من القرن الثامن الهجري.

في هذا التاريخ يعود شأنهم في النشاط بأعظم مما سبق ويكون لهم حوله كبرى تثير حفاظ العقلاء وتسبب نزاعا كبيرا أصبح حديث الناس في وقتهم ووقت من أتى من بعدهم والذي يهمنا في هذا الفصل هو تتبع نقاط مدرسة ابن عربي في اليمن دون الالتفات إلى القضايا التاريخية التي تبرز من ذلك قد استغل أمر هذه الطائفة الصوفية وأخذوا يتجاسرون في الدخول في القضايا الفلسفية الصوفية بمعرفه وببعض معرفة وأغلب الظن أنه يتعاقب عليهم وصف الإمام يحيى بن حزة في حديثه عن غرور الصوفية يقول (أدعوا علوم المعرفة ومساعدة الحق ومجاورة المقامات والأحوال ولا يعرفون هذه الأمور إلا بالأساس وبمجرد العبارات ولا يحيطون بشئ من معانيها بل قد يلقطوا من كلمات صوفية وهم يرددونها ويظنون أن ذلك علم من علوم الأولين والآخرين (٧) بل قد وصل بهم الأمر في الدخول في هذه المسألة إلى أن جماعة من صوفية زيد (كانوا يتعاطون الخمر ويقول أحدهم للآخر وعزق لأن تعطيني الكأس لأرسلك للخلق أو نحو ذلك وأن بعضهم يقول للآخر سبحانه وإن رجلا عاب رجلا منهم فقالوا له انسب الله وإن بعضهم يقول هذا الجدار هو الله (٨) إلى غير ذلك من أمورهم التي أدى إليها فهمهم الخاطي للتصوف الفلسفي والفنوني

- (١) الأصل: المصدر السابق قلا من النشاري في كتابه الغرور والخمر في الآداب والسير.

(٢) يحيى بن حزة التصفية مخطوط.

(٣) الأصل: كشف النظار ص ٢١٨.

استعمال نظرياته المعروفة عند أبياع ابن عربي وهذا يدلنا على أن تلك الفلسفة قد شاعت حتى عند عامة الصوفية بدليل تلك الأفعال الطائفة التي لا تصدر إلا من جماعة العوام.

وكانت مدينة ريد مصدر ذلك الرواج الكبير لنشاط الصوفية من أنصار ابن عربي وذلك على أثر احتضان أكابر صوفيتها للمعتقدين كالشيخ اسماعيل الجبري جماعة من أبياع ابن عربي وبعض تلامذته أمثال ابن الرداد والزرجاني مع أن هؤلاء يجب أن يعرفوا من أفكار ابن عربي ولعدم مشاركتهم فيها ولم يصمم بها أحد من الذين أرخوا لهم حتى خصومهم<sup>(١)</sup> الذين طعنوا عليهم في سلوكهم بتقريب أبياع ابن عربي والتورود إليهم، وأغلب الظن أن نشاط عماليم ابن عربي في مدينة ريد لا يعود إل أكابر متصوفها بقدر ما يعود إلى الصوفية القادمين إليها من بلدان مختلفة وقد رأينا فيما سبق كيف أن المقدسي القادم من بيت المقدس أول من أسس طائفة من الصوفية منتمة إلى ابن عربي، وعلى هذا التقدير يمكننا أن نرجع انتشار عماليم ابن عربي وإحيائها للمرة الثانية خلال القرنين الثامن والتاسع للميلاد إلى آخره من الشيخ عبد الكريم الجيل المتوفى سنة ٨٠٥ الذي يعد من أكابر الفلاسفة المتصوفين ويكنى أن نعلم أن كتابه (الإنسان الكامل) يعد دستور المتصوفين الذين شاركوا ابن عربي في فلسفته. وقد اعتبره ابن الأمدل (من قدماء أصحاب الشيخ الجبري)<sup>(٢)</sup> ويقول في وصفه (هو أملك في ذلك البحر - يعني القول بالأحاد ووحدة الوجود - وقد اجتمعت به قبل أن أهرق عليه بآيات حسين. سكن لي منه قلب صادق أنه صعب في بعض أفعاله فسمع منه أثناء العظيم على ابن عربي وطوره وكتبه وسمع منه التصريح برؤية كل

(١) انظر السابق.

(٢) الأمدل: تحفة الزمن (مخطوط)

من هؤلاء في الطريق من إنسان أو طائر أو شجر<sup>(٣)</sup> ومنتوك خطورة هذا الرجل إذا عرفنا أن كتابه نسج في تلك فلسفة ابن عربي وأن بعضها ليس إلا نرج عليها أو بكلمة لها ككتاب<sup>(٤)</sup> (الأسفار عن رسالة الأنوار)<sup>(٥)</sup>.

### أبياع ابن عربي في القرن التاسع

على أنا إذا تتبعنا أسماء المتبعين إلى مدرسة ابن عربي من أهل اليمن خلال هذه الفترة فنستقدم جماعة من الصوفية تشبهوا بحسب ابن عربي دون أن يكلفوا أنفسهم فهم مذهب وما وصل إليه ومن ثم أتى انتعاشهم إليه مجرد أحباب شكل لا يفتدي المضمون فهم لم يخطروا معه في مشاركات علمية تخيف جديدا إلى هذه فلسفة لا من حيث المشاركة في التصنيف ولا من خلال المناقشات العلمية.

وقد ظهر من شكاية هؤلاء جماعة كثيرة سنكتفي منهم بذكر أولئك الذين عاصروا معصية النزاع بين الفقهاء والصوفية، وسنعتبر ثبات أولئك على بدهام الصوف دليل قوي على انتعاشهم لمدرسة ابن عربي وتشبههم بتعاليمه.

لبن هؤلاء الصوف اليمني أحد المعبيدي الذي لم تظهر له بترجمة خاصة وهو نحو الوزير أحمد بن عمر بن معبيد الذي تولى الوزارة لملك الأفضل سنة ٧٩١ واستدعاه ابن المقرئ في ديوانه<sup>(٦)</sup> وترجم له الخورجى وباء بخيرته<sup>(٧)</sup> أما المعبيدي المقصود هنا فقد أشار إليه الأمدل في تاريخه وعده من أصحاب الشيخ اسماعيل الجبري وقال (هو من أملككم صرح عتاته قام في سماع وأخذ الفوف وقال هذا هدى أفضل من منهاج النوى)<sup>(٨)</sup> وفي موضع آخر وصفه بأنه من أهل

(١) الأمدل: كتيب النظم ص ٢١٤.

(٢) رسالة الأنوار من مؤلفات ابن عربي.

(٣) ابن المقرئ: مجموع ابن المقرئ ص ١٦٥.

(٤) بلخزمة: تاريخ قمر عدن ج ٢ ص ١١.

(٥) الأمدل تحفة الزمن (مخطوط) ويصنف منهاج النوى كتاب (مناجيات العارفين من أساليب كتب العارفين في اللغة تأليف العلامة يحيى بن شرف النوى للتول سنة ٦٧٦.

أصحاب الجبرتي يكتب ابن عربي . توفي في حدود سنة ٨١٥ هـ .  
ولعل هذا الرجل هو أكثر زملاء معرفة بعلوم ابن عربي بدليل تلك الحجة  
التي شنها عليه ابن الأمدل ووصفه له بالاطلاع على كتب ابن عربي وفهمها .

أما بقية الذين عاصروه من المتبعين إلى مدرسة ابن عربي فهم الذين وافقوه  
من حيث الشكل كما أشرنا سابقاً وقد ذكر المرحوم جماعة منهم كالشيخ عبد الله  
ابن عمر السن . من أصحاب الشيخ الجبرتي وربما وقف عنده الأشهر الطويلة  
وكان من العلماء المتفهمين والأولياء الكبار ( وله فهم صحيح في كتب الشيخ  
ابن عربي وحصل منها عدة كتب ككتاب ( القصص ) وشرحه للشيخ  
مريد الدين الجندى وشيء من الفتوحات المكية وغير ذلك لما اوضح له فيها  
من المهم وتحقق للمعنى وصحت هذه وكان له في الشيخ يحيى الدين ابن عربي  
اعتقاد حسن ) (١) .

ومن هؤلاء الشيخ قطب الدين مزاحم بن أحمد بامزاحم من أهل مدينة  
( روم ) قريبة من مدينة القصر وكان يتردد إلى مدينة زبيد للاجتماع بالشيخ  
اسماعيل الجبرتي ( واستشارته كتاب الفتوحات المكية ، الشيخ يحيى الدين  
ابن عربي وقته في مدة قرية ) (٢) .

وآخر من تذكرهم من أصحاب ابن عربي المتبعين إليه روحياً من أهل  
البحرين الشيخ عبد الكريم بن محمد بن إبراهيم الواسطي وقد سعى إلى مكة لفرص  
الحصول على نسخة كاملة من كتاب الفتوحات المكية وكان قد ( سافر من مدينة  
زبيد إلى مكة المشرقة على قسم التبريد لا يملك شيئاً من المال ثم أنه حصل بخطه

(١) للرحماني : نهاية السالك ( مخطوط ) .  
(٢) المصدر السابق .

في سنة واحدة (١) .

ولا نجد فيما أوردناه من تراجم هؤلاء ما يوحى لنا بمشاركتهم في تعاليم  
ابن عربي من خلال الكتابة والمناقشة ، وكل ما في الأمر لا يبدو تأييد أن يكون  
فكلاً لفكر ابن عربي والتقرب إليه عن طريق انتاء كنه وإظهار الإعجاب  
بخصيته كما أسلفنا سابقاً وأهل بعد هؤلاء من المشاركة في تراث ابن عربي  
يعود إلى سنيين رئيسيين لا ثالث لهما إما لقصور أفهامهم عن استيعاب ما وصل  
إليه ابن عربي من أفكار فلسفية متقدمة وأحياناً مضطربة . . وأما نحاسياً من  
غلبة الفقهاء تحريمهم وخاصة وأنهم عاصروا حدة نفور الفقهاء وإظهار  
الأفكار عليهم : وقد رأينا ابن الرداد وهو في مركز القوة ( حيث تولى زمام  
القضاء العام ) يساهم بما يعجب المشاركة في تعاليم ابن عربي حيث عدله ابن الأمدل  
هذه مسائل لها فيها منحنى ابن عربي كقوله ( بهراز اتصال العبد بصفات ذات  
الحق تعالى ) (٢) وقوله ( يقدم الفقر وانصافه بصفات الآزلية ) (٣) ومن مسائله  
أيضاً ( تحقير قول لا اله الا الله ) (٤) بل نجد له رسالة مفردة عاجل فيها مسائل الصوفية  
بكل شجاعة (٥) .

ويقول ابن حجران ( شعر ابن الرداد ينطق بالانحياز وأنه أفسد عقائد كتبه  
من الناس ) (٦) .

وكان ابن الرداد حين رأى حيز فريق الصوفية من مجابهة الفقهاء اضطر إلى  
أن ينوب عنهم بعد أن ضمن لنفسه أكبر سلطة ممكنة ان تحكم عليه وهي سلطة  
القضاء الأكبر وهكذا كتب ابن الرداد مؤلفاته تلك وهو في شجاعة أمة .

(١) المصدر السابق ( مخطوط ) .  
(٢) (٣) (٤) (٥) (٦) : نسخة الزمن ( مخطوط ) .  
(٧) السخاوي : الضوء اللامع ج ٧ ص ١٦٦ .  
(٨) ابن حجر أبناء الفهر ج ٣ ص ٢٧٨ .

## أسباب انتشار فكر ابن عربي خلال هذه الفترة

على الرغم من عدم وجود العلماء المتبحرين من مدرسة ابن عربي فقد حظى تراثه واليمن بأقبال كبير . وقد الحنا فيما سبق إلى إناشار تعاليم ابن عربي في مدينة زيد خلال القرن الثامن والتاسع حتى أصبحت كتاباته مداع لكل طوائف الصوفية باليمن بما فيه أولئك العوام الذين ارتكبوا عفوات يرى منها الصوفية أنفسهم ولا تليل لذلك سوى هذا الإقبال العامل الذي لقيه فكر ابن عربي .

ولنقتل ان يقول ما المر في انشار تعاليم ابن عربي وكثرة انصاره خلال هذه الفترة من دون غيره من القراء مع تصدى الفقهاء لهم ومضايقتهم في أكثر الأحيان . وهذا السؤال أول ما يتبادر إلى الذهن حينما ننكر ذلك التواح القديد بين الفرقتين أثناء هذه المرحلة .

على أني سأحصر أسبابه في أمرين رئيسيين : -

أولها : كثرة الراغبين إلى مدينة زيد واليمن عامة خلال العصر الرسولي بما يحمله أولئك من نعل وأفكار مختلفة وقد أتوا في صور مداوئش ورماد متراكب فاحظهم العامة وأصبحوا موضع احترام حتى إذا تمكنوا من نفوسهم بترأسيهم الأفكار الصوفية بما فيها تلك العقائد الفلسفية ومن هنا جاء قبول العامة لتصرفهم انتشاره بمدينة زيد وسترى فصل مستقل كيف كان أثر هؤلاء القادمون على الحياء الصوفية في اليمن وتحويلهم لتعاليم ابن عربي وغيره من صوفية الفلاسفة الإسلاميين

ثانيا : ذلك الانفتاح التام الذي عرفته هذه الفترة ووجود الحرية الكاملة في استيراد حتى الثقافات وقد لعبت زيد في صيرها لدمج خلال حكم بني

رسول بكثير من الأفكار التي تحملها الكتب المختلفة الإجماعات بما فيها كتب ابن عربي وإتباعه . وقد ذكر الأعدل جماعة من الصوفية الذين استشهدوا كتب ابن عربي من بلدان مختلفة واعتوا بها العناية التامة أمثال المراجعي الذي يقول عنه ابن الأعدل - حصل كتب هذه الطائفة - أي إنباع ابن عربي قومه على ذلك باليسار فحصل الفصوص وشروحه والفتوحات المكية وغير ذلك من كتب تلك الطائفة فأولع الصوفية بمطالعتها ) على أن المراجعي يعترف مر نفسه باقتناء هذه الكتب ويذكر ذلك في معرض كلامه مفتخرا كذكره قصة حصوله على نسخة كاملة من كتاب الفتوحات المكية ودخولها مدينة زيد يقول أثناء حديثه عن الواسطي السابق الذكر ( وكنت قد حصلت نسخة كاملة بمدينة زيد من كتاب الفتوحات وجدتها عند الفقيه شهاب الدين أحمد الفارسي )<sup>(١)</sup>

ولم ينحصر إقتناء كتب ابن عربي على فئة الصوفية وحدهم بل ليجدما في خزان ملوك بني رسول وقد ذكر المراجعي أنه توجد نسخة من ( الفتوحات المكية ) بمكتبة السلطان الناصر بخط مؤلفها يقول في حديثه عن الراعي ( وقد حصل من الفتوحات نسخة جيدة لنفسه ثم قابل النسخة وضبطها واجتهد فيها غاية الاجتهاد وانفق لنا وله نسخة من الفتوحات المكية من مولانا السلطان الملك الناصر اطارنا أياها لتقابل عليها من الخزانة الممورة وعلى اجراء منها خط المصنف الفقيه ابن عربي )<sup>(٢)</sup> ويؤيده في هذا الصد معاصره الفقيه المرشد إبراهيم ابن عبد القادر القاري البغدادي الذي زار اليمن وذكر ( أنه اجتمع في خزانة الناصر على ما بلغتني من مصنفات الفقيه ابن عربي عالم يجتمع في خزانة غيره من

(١) الأعدل ، نسخة الزمن ( مخطوط )

(٢) المراجعي : حجة السالك .

(٣) المصدر السابق .



آباء الملاحين المتقدمين كالأشرف والأفضل والمجسّد والمؤيد والمظهر  
 والمصور (١) ...  
 ثم طفت موجة كتب ابن عربي في مدينة زبيد وأصبح الناس يجمعونها في  
 الأسواق تباع وتقتنى - كما يقول ابن العربي مخاطباً ظهراء مصره  
 تباع وتقرأ هذه الكتب فيكم وأنتم سواء والذي في القاموس (٢)

طالع مظهر ...  
 ...  
 ...

...  
 ...  
 ...

# النزاع بين الفقهاء والصوفية في اليمن

(١) القاموس مناقب ابن عربي ص ٦٤ .  
 (٢) ابن العربي : مجموع ابن العربي ص ١٤ .

## نشأة النزاع بين الفقهاء والصوفية خارج اليمن

كان القرن الثالث الهجري عصر الثقافات وازدهار العلوم الإسلامية ونشأ الوقيعة كان من منافسة وجدال عنيف بين أصحاب المذاهب والفرق الطارئة على الإسلام وقد اشتهر في هذا الوقت جدال علماء المسلمين الزنادقة وأصحاب الديانات المختلفة.

ولقد خطت عدة النقاش بين المذاهب الإسلامية نفسها لضرورة التمازج الكل أمام التحديات السافرة من قبل أصحاب الأديان الأخرى في حين كان من المحتمل أن يكون هناك صياح بين تلك المذاهب الإسلامية نظراً لأنها كانت في طور الازدهار والمصارعة من أجل البقاء.

ونجح ذلك فلم نجد هناك صياحاً حقيقياً إلا ما كان يدور حول مسائل فرعية بسيطة لا تهم في كثير من الأحيان إلى احتكاك شديد.

ومن هذا النقاش ما جرى في ذلك العصر بين الصوفية وأهل السنة وهو أول صراع يدور بين مائتين الطائفتين وقد توهم زيادة طائفة المتألهة الذين عرفوا بكفاحهم الشديد حول العقيدة الإسلامية.

وبعد كان الإمام أحمد بن حنبل المصوب إلى هذا المذهب هو أول شخص في الإسلام تلبس لقب الصوفية وانحرفهم وقد رأينا أنهم بعض المتن إلى المذهب الصوفي ويصمم بالخروج من الدين نهائياً ويقال له طامع المجلس - أحد الصوفية في عصره - يتحدث في شره من علم الكلام والصفات فخره.

فاغضى المحاسبي في بيته إلى أن مات وكان ابن حنبل يقول (احذروا من الحارث  
— بنى المحاسبي — أشد التحذير وكان يقول لأصحابه بعد أن سمع ينسب  
كلامه لا أرى لكم أن تمالسوه (١) .

ومكذا كان الإمام أحمد بن حنبل أول من أثار النزاع بين الصوفية والفقهاء  
لم تال بعد ذلك الانسكار على هؤلاء من قبل العلماء تقى مصر النكر الإمام  
عبد الله بن عبد الحكم المتوفى ٢١٤ على لى التوت المصرى لهجرة بذلك علماء مصر  
ما شاع أنه أحدث علماء لم يتكلم به السلف حتى رموه بالوحدة (٣٤).  
وفى دمشق تفرأى سليمان النوارى حين سمع منه أنه يرى الملائكة وأنهم  
يكلّمونه وكذلك مرياً أحد بن أبى الحوارى لما شهد عليه القوم أنه يهتزل الأولياء  
على الألسنة (٣٥).

موسم هذا الحصاد بالنسبة لسائر البلاد الإسلامية كهند واندلس والمغرب وغيرها.

فلما ابتدأ إنكار العلماء على الصوفية وربطوا بأصناف تلك الأفكار التي  
أحدثوها ما جعلت العلماء المستعصمين بالهزيمة يرون في أفكارهم الفلسفية  
خطراً يهدد من الدين وحتى لا يخطئ الزمام وتصبح أصول العقيدة التي  
لكل من مذهب من مذهب الصوفية والمعتنق فيها يتلاعبون بها وفق خواطهم  
ومراسمهم

وقد نجات هذه الحادثة في التصرف أو الأمر على يد الحارث المحاسبي  
فأقرن قتال الذي اشتمل من بعض كتبه مصطلحات الديانة المسيحية

(1) لمن طهرت: طهرت أي طهرت من دنسها وكنها طاهرة  
(2) من طهرت: من طهرت من دنسها وكنها طاهرة  
(3) من طهرت: من طهرت من دنسها وكنها طاهرة

(١) ما يدل دلالة واضحة على تأثره بالانصارية (١) -  
 ثم ظهر بعده جماعة من الصوفية تكلموا في الثور  
 والاروا عليهم حفاظ العلماء حتى كان منهم ما كان  
 في طام المنة والتوحيد من الصوفية هو أبو الحسن  
 الذي يقال أنه أول من تكلم في المقامات والاحوال  
 إبراهيم الصوفي المتوفى سنة ٢٧٠ هـ الذي كان أول  
 الصوفية المستعملة عندهم ثم تتابع جيل الصوفية من  
 صوفية فظهر فيهم صوفية كبار طوروا هذا المذهب  
 الذي أحدث لفظه (السكر) وأبو سعيد الخراساني الذي  
 وحدون القصار الذي ابتدع طريق الملامنة وعنه انفقوا  
 وفهم كثيرون .  
 حتى أن هؤلاء الصوفية بعدهم قد خرجوا عن  
 مألوف سلوكهم مع الله والخوف منه مع رغبة  
 تحولوا من كل هذا إلى فلسفات ومناهج تكاد تخرج  
 عما مع أنه ( لم يكن في مذهب أولئك القوم أول أمرهم  
 بدم ) (٢) .

حتى أن هؤلاء الصوفية بعدد هم قد خرجوا عن طريقهم الأولى التي هم  
مراتب ملوكهم مع الله والخوف منه مع رغبة خالصة في العبادة والزمادقة  
نحوها من كل هذا إلى فلسفات ومناهج تكاد تخرجهم عن سنن الدين الواضح ،  
فلا مع أنه ( لم يكن في مذهب أولئك القوم أول أمرهم شيء من مذهب الذين جاؤوا  
بهم ) (٢)

وإذا تحققت هذه المسألة فلا حراية أن يتعهد بعد ذلك الفقهاء على الصوفية باعتبار أنهم قد خرجوا من القاعدة الشرعية فكان منهم ما كان حتى وصلوا للمألة فووتها بمقتل الحلاج وما حدث بعد ذلك في أمره من نزاع ومهادنة لا يجب أن نخوض فيها لغيرها وبكفى أن نشير إلى مقدمات حرم الفقهاء.

(١) آدم - هو الحضارة الإسلامية في القرن الرابع و هذا قوله ولعل به بنى على طهنا  
الإمام الجليل فيجب الصقل من هذه النبهة في كعبه .  
(٢) المصدر السابق

امتحان الصوفية وكانت سيار رئيسيا في تطور النزاع بينهما . وقد شهد القرن الثالث لولده بواهر هذا التفات وهو القرن الذهبي بالنسبة لازدهار فنون وفنائه فيه ظهر كبار مشائهم المرجوع إليهم ومع ذلك لم يكن يبرج الصوفية وإماماتهم مما يندفع له الفقهاء فقد قدمنا فيما سبق أنهم أنكروا على المحاسين وذو النون المصري والدارقني وغيرهم بعض من سلوكهم الصوفي ومزلاهم الجيل الأول من الصوفية الذين سلكوا النهج الفلسفي في تصوفهم وقد طهرهم جماعة من الصوفية لقوا نصيبهم من المعارضة فهذا أيا يزيد البساطي كان يقول لمرآج كما كان النبي (ص) مرآج فذكر ذلك للفقير حبيب بن عيسى ، فأمر بإخراجه من بساطهم وظل مختفيا في مكة حتى توفي هذا الفقير ومن أوائل الصوفية الذين تعرضوا للمحنة سهل بن عبد الله التستري الذي لقي من الناس مضايقة إلى أن اضطروه إلى الهجرة من مدينته وغيرهما كثير ويكفي أن تعلم أن بواهر النزاع بين الفريقين قد حدثت عند استكمال الصوفية تمايلهم الفلسفية خلال القرن الثالث فكان (أهل السنة) المتشككين بالثروة القديمة (السلفية) ينكرون على الصوفية حثوية (١٤) . وكلما تطور الصوفية في طومهم كلما اتسعت حرة التفات بين الفريقين وقد خلصنا تاريخ الإسلام أحيانا كثيرة في ذلك لا أراي في حاجة إلى ذكرها إذا الموضع من العناية بحيث يستحق أن ينفرد بحديث مستقل ومع ذلك فمأنا من هذه العناية عندنا إماما الرئيسية المعروف كيف واصلت الخصومة بينهما حتى انتهى بها المطاف إلى اليمن عند قوة الصوفية وحلف الفقهاء أو العكس . وسيل ذكر تاريخ النزاع بأسماء أعلامه من الفقهاء الذين تصفوا لرد على الصوفية وعلى رأسهم الفقيه الجليل الحديث الإمام أحمد بن حنبل للتوفيق سنة ٢٤١ هـ الذي تخافنا سبق إلى شيء من نزاعه مع الحاسبي وإنكاره عليه وتلاه جماعة من الحكماء على الصوفية ، منهم لولئك القفر الذين اغتروا بقتل الحلاج وتلبذه

(١) المصدر السابق ٢٤٤ ص ٤٨

بن الفيلقاني وبند كرون من هؤلاء الفقهاء أبا عمر القاهي وهو أول من أفتى بقتل الحلاج وشاركه في هذه الفتوى داود الظاهري وجماعة من فقهاء القرن الثالث بل لم يقتصر الأمر على الفقهاء وحدهم فقد تمداهم إلى طائفة الصوفية أنفسهم من المعتدلين الذين استهجنوا تلك الأفكار الشاطعة من قبل الحلاج وأضرابه أمثال الجنيدي الذي يقال أنه كان من ضمن المعتدلين بقتل الحلاج والصوفي عمرو بن عثمان ابن سريج وغيرهم (١) .

ويصل ابن الأمدل في القرن التاسع مسلك أولئك الرواد من المفكرين على الصوفية في القرن الثالث الهجري بقتلهم الحلاج فيقول (لا شك أن من شهد الواقعة وعلم القصة فهو أعرف بالحال من المتأخرين فلولا أن الذين شهدوا الواقعة تحققوا حاله وثبت على الوجه الشرعي ما يقتضى القتل ما قتلوه ولا صلبوه معاذ الله أن يظن ذلك بعلماء الشريعة على رؤوس الأشهاد فكان ذلك إجماعا وصوابا فلا ريب في تكفيره (٢) .

ويأت هذا الكلام بقصد قطع الإفاويل التي ترى تسرع الفقهاء في ذلك الوقت بقتل الحلاج وقد جاء مثل هذا القول في كلام المتأخرين من الصوفية وبعض الفقهاء .

على أن بدعة الحلاج قد انتشرت شأنها وأخذت في التفتي إلى أن وصلت أقاصي المغرب ولم تعد محصورة في نطاقها العرفي إذ وجدنا هذه المدرسة تؤصل جذورها في الأندلس من خلال جماعة من معتنقي المذهب الحنولي في القرن الرابع الهجري أمثال ابن مسرة الذي اقتبس منه ابن عربي مذهبه الفلسفي منذ مدة مبكرة . وكان ظهور المنكرين من الفقهاء ضرورة حتمية أمام التوسع الفلسفي للصوفية

(١) الأمدل: كيف القلاء ص ٢٤٩

(٢) المصدر السابق ص ٢٥٠

في تلك الاصفاع فكان يورد الفقيه الغزالي محمد بن الحسن الزبيدي المتوفى سنة ٣٧٩ هـ كنهرا و اظهار ذلك في كتابه المسمى ( منك ستور الملحدین ) (١) الذي رد فيه على فلسفة ابن مسرة بـ ٥٠٠٠ بداية حسنة تمطينا دليلا قاطعا على إنكار الفقهاء في تلك الاصفاع على الصوفية ولا اغالى اذا قلت أن كتاب الزبيدي هو أول مؤلف خصص في الرد على الصوفية و فلسفاتهم النظرية .

ومكذا زرى أن عدة الصوفية بالفلسفة قد حمت جميع الاوساط الاسلامية شرقيا وغربيا وما صاحب هذه الفلسفة من إنكار وتبع من قبل الفقهاء الذين لم يسلوا لهم نظرياتهم حتى لانكاد نقبى إلى المصور المتأخرة ( القرن السابع وما بعده ) إذ بطلنا جمهور كبير من المنكرين كل منهم قد أخذ بجانب من الرد على الصوفية وقد ساعد على ذلك ظهور مؤلفات ابن عربى وانتشارها بين أيدى الناس فكان من السهل الوقوف على أدق نظرياتهم بعد أن كان جيلهم الأول يتخفى بها ويرى البناء من العلماء خفية من الاحتكاك معهم في قضايا كلابية نجعلهم فيها مر أشد ومن هنا جاء ذلك الحشد الكبير من العلماء المنكرين على الصوفية الذين قامت شهرتهم على هذه الناحية لى أدهمهم العلامة تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية المتوفى سنة ٧٢٨ هـ ومن تلامذة هم في الحقيقة مفرقون من بحرهم وابن تيمية يعتبر مدرسة قائمة بذاتها في نقد الصوفية

و كانت منهلا رئيسيا لكل من تصدى الرد على هذه الطائفة بما فيهم طاء البيه الذين ضلوا بالرد على الصوفية . والتأمل لكتابات هؤلاء في هذا الصدد يجد أثر ابن تيمية واضحا عليهم . حتى أن هذا الاعتماد الكلى كان دافعا لأحد صوفية لبنى إلى القول بأن المنكرين على الصوفية ليسوا إلا نبعا لأن تيمية يقولون بقره ووافقون على الخطأ والصواب (٢) بل إن هذا الصوفى — وهو العلامة محمد بن محمد المزجاجى — يرجع مبتدا الإنكار على الصوفية إلى هذا الرجل (٣) أى به ابن تيمية وهو قول فيه بعض الغلو ومجانبة الحقيقة إذ نجد الإنكار على الصوفية يعود الى ما قبل عصر ابن تيمية بزمان طويل كما أسلفنا ذلك فيما سبق . وقد تركزت نظرية ابن تيمية في نقد الصوفية على دراسة مؤلفات ابن عربى ونقد محتوياتها المخالفة وهو الذى أثار عليه قضايا رئيسية رددتها كل من أتى من بعده من المنكرين على الصوفية فكان العلامة ابن تيمية أول السابقين بكفها .

ثم تبع ابن تيمية وعيل آخر من المنكرين منهم من أدركه وأخذ عليه كالعلامة محمد بن أحمد الذهبي المتوفى سنة ٧٤٨ هـ وإسماعيل بن عمر ابن كثر المتوفى سنة ٧٧٤ هـ ومحمد بن أبى بكر ابن القيم الجوزى المتوفى سنة ٧٥١ هـ (٤) ومنهم من

(١) المزجاجى : حياية السالك (مخطوط) .

(٢) للمصر السابق (مخطوط) .

(٣) تراجع هذه المسائل التى أثارها ابن تيمية في كتبه التى خصصها في الرد على ابن عربى ككتابه ( الطريق الأقوم في الرد على نصوص الحكم ) و ( القرآن بين أوليا الرحمن وأوليا الشيطان ) وقفاواه المختقة .

(٤) من التريب أن يأتى أكثر المتقدمين على الصوفية من الذمب المنبل فكانهم بينا للسلك قد قلدوا إمام منعيمهم الذى كان أول من اتفقد الصوفية ولا غرابة في ذلك فالناتجة كما يقول الدكتور عدنان زرزور ( تحقيق صدورهم بس مداهم من أهل المناسبات الأخرى ) انظر كتاب ( الحاكم الجسمى ) ص ٤٧ .

وحول هذه المسألة تراجع بحثنا المخطوط بعنوان ( ثورات المبالغة ) .

(١) أنظر مقدمة تحقيق ( كتاب الواضع لى علم العربية ) للزبيدي تحقيق أمين على السيد ص ٣٧ ومن الفقهاء الذين تابوا اتباع ابن مسرة العداء وردوا عليهم الفقيه محمد بن تقي بن منجب وأخرى ما وجد عندهم من كتبه ووضع كتابا في الرد على ابن مسرة ونقض آرائه ( الأعلام ج ٧ ص ٢٦٠ ) وحول موضوع ابن مسرة وقيام الفقهاء ضده لى الأندلس تراجع كتاب ( شيخ مصر لى الأندلس ) للدكتور حسين مؤنس ص ٦٣ — ٦٥ .

تأخر عصره إلا أنهم في عمومهم يحومون حول السبيل الذي حاش حول ابن  
بينة ومنفصلهم فيما يلي .

في القرن الثامن - وهو القرن الذي تلا جيل ابن بينة - انقضت  
معركة حامية الوطيس بين الفقهاء والصوفية في مصر والقام وذلك كتيجة حتمية  
للافكار التي بنى ابن بينة في التأليب على الصوفا . ونج في هذا العصر انقضاء  
من الفقهاء كان لهم دور رئيسي في جدال الصوفية وموقف لا يلبس واستقر  
أهمية هذا الموقف وهذه العمق إذا أدركنا أن هذا العصر كان يمثل انقضاء  
الصوفية على الفقهاء ورجحان كفتهم في تراجم معهم الذي سيكون بداية عهد  
أمة الصوفية يمارسون فيها شتى شعاراتهم بعيدا عن إنكار الفقهاء وإفلاقهم ،  
ومع ذلك فقد كان لمدرسة الحديث التي أحيا رسومها العلامة أحمد بن حنبل  
حجر في القرن التاسع في مصر والشام أثر في عودة الناس إلى الكتاب والسنة  
ونجد الدعوى طرأت على المتدينين من أهل هذا القرن وقد لبغ على يد جماعة  
من المتكبرين على الصوفية الذين تعصبوا بتعاليمه ومنهج في العودة بالناس إلى  
الأصول الإسلامية الأولى ومن هنا جاء نفر من التلامذة الأقوياء فطبخوا فكر  
شيعي و الإنكار على الصوفية كالأعلام برهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي  
المتوفى سنة ٨٨٥ والعلامة عمر بن رسلان البلقيني المتوفى سنة ٨٠٥ وهو عهد الرحيم  
بن الحسين العراقي المتوفى سنة ٨٠٦ هـ ونجهم كثير إلا أن هؤلاء كانوا المحر  
من أخصر على الصوفية وكانت كتاباتهم مصدر قلق شديد للصوفية وقد تصحروا  
لرد عليهم في أكثر من مناسبة من ذلك أنه لما أشتهر مؤلف البقاعي في الرد على  
الصوفية المسمى ( تبيين النبي بتكملة عمر بن القارض وابن عربي ) أنار هذا  
الكتاب المتصورة فاختدروا ينظرون في ذمة القطعات الكثيرة وقد انقضت حتى  
أصبح نقال بين العامة كقول المنصوري ، أحد شعرائهم :

إن البقاعي بما قد قاله مطلب  
لا تحسبوه سالما قلبه يعاقب

وهو في هذه الآيات يشير إلى تلك الخصومة التي وقعت بين البقاعي وأحد  
محدثي ابن عربي وهو الشيخ عمر الوهاب بن محمد بن التاج الذي كان من كبار  
أهالي ابن عربي ومناصريه حتى وصفه أحد معاصريه ( بأنه كان يطوف بكلام  
ابن عربي على المجالس وفي الأسواق ويصرح بأعقاده بل قيل أنه صنف في إيمان  
وعرن وكذا رد على البقاعي ) (١) .

وما تلك الخصومة التي جرت بين الرجلين سوى مثال بسيط لتلك المهادلات  
التي تمت أوساط المثقفين خلال القرن التاسع وما بعده وقبلما يطرأ عالم من  
أفرض في هذه المسألة حتى إتنا نجد العلامة شمس الدين السخاوي من أهل ذلك  
قرن يجيب على كثير من الذين ترجم لهم (٢) تأييدهم لابن عربي والمشاركة له  
في طروحه في حين يذكر الذين أنكروا عليه بالثناء والتقدير ولا غراهة في ذلك  
فالرجل كان من أبرز العلماء الذين انتجتهم مدرسة ابن حجر العسقلاني وهو  
نفسه قد وضع كتابا حافلا في الرد على ابن عربي (٣) .

وهكذا انقضت قضية ابن عربي وأصبحت مما يؤرخ له بالسنين . يقول ابن  
أبى في حوادث سنة ٨٧٥ ( وفيها ذهب بين العلماء معركة في أمر ابن الهارثي  
وابن عربي كانت حامية الوطيس إذ ألف الكتيب ووضعت المصنفات في نفسه  
بل تكفهده لمخالفته ظاهر الشريعة كما ألفت كذلك كتب في الدفاع عنه ودحض

(١) السخاوي: الضوء اللامع ج ٥ ص ١١١

(٢) في كتاب: الضوء اللامع السالف الذكر .

(٣) عنوان هذا الكتاب هو ( القول الثاني من ترجمة ابن عربي ) وسيل ذكره  
ليأيد .



## نشأة النزاع بين الفقهاء والصوفية في اليمن .

يتضح لنا مما سبق أن النزاع بين الفقهاء والصوفية كان أمراً شاملاً عرفته المجتمعات الإسلامية من قبل ، وليس ظاهرة انفرد بها الفكر اليمني وحده ففى العام ومصر كان أمره أقوى مما عليه في اليمن وخاصة أثناء الفترة التي سبقت النزاع في اليمن بمدة قصيرة حيث نجد ابن تيمية قد اذكى جذوة الشقاق إلى أن تحولت المسألة من جدال فكري إلى حادثة تاريخية تحدثت عنها كتب التاريخ .

ولكن كيف كان أمر النزاع بين الفقهاء والصوفية في اليمن وهل أتى ذلك دفعة واحدة أم له أصول تاريخية قديمة تدرج عنها حتى انتهى المطاف إلى ما انتهى إليه ، هنا يحتم علينا البحث قبل الدخول في تفاصيل هذا النزاع أن نعرض سريعاً للأصول العقائدية التي عرفتها اليمن قبل نشأة الصراع والتي نعرف عنها المذاهب الدينية . وسندرك أهمية هذه المذاهب بالنسبة للصوفية عندما نعلم أن بعضها كان يقف موقف الخصم لكل المذاهب الطارئة على الإسلام بما فيها التصوف وعلى رأس هذه المذاهب جميعها المذهب الخليلي الذي كان لا يتابع دور فعال في مناهضة الصوفية إلا أنه من الحقائق التاريخية المسلم بها أن اليمن شهدت ذلك المذهب منذ مدة مكررة<sup>(١)</sup> بواسطة جماعة من معتقديه الذين دخلوا

كلام المذريين عليه والمكفرين له ) ومن الذين تقضوا عليه في هذه السنين يرمون الدين البقاي وأبن الشحنة وغيرهما كثير ومن مؤيديه والتصنيف له الشيخ زكريا الانصاري والشيخ الجلال ابن الكمال الاسيوطي وغيرهما . وذكر ابن أبياس كتاباً في الرد على من انتقد عليه ككتاب قمع الممارض في الرد على من انتقد ابن الفارض السيوطي ودرياق الاماعي في الرد على البقاي لبعض العلماء ومؤلف آخر البدر ابن الفرسى<sup>(٢)</sup> .

وفي هذا النص نجد دليلاً حاسماً على أن مسألة ابن عربي أصبحت من القضايا الهامة التي غطت الرأي العام خلال القرن التاسع مما دفع العلماء المحافظين إلى التوضيح فيها بكل قواهم .

على أن هذا القرن كان بمثابة الانتفاضة الأخيرة في وجه الصوفية ولم تعد تعد ذلك التكلل المشهود الذي يقوم به العلماء ضدهم وذلك بعد أن طفت موجة التسليم للصوفية والاستحسان لتعاليمهم بما فيها تلك العقائد (الشاطئة) . وكان القرن العاشر والذي يليه هو عصر سلطة الصوفية وتقديس العامة لهم وقد اشتد نفوذهم على أثر احتضان ملوك آل عثمان<sup>(٣)</sup> لتعاليمهم فلم يظهر هناك صوت يذكر في الإنكار على الصوفية حتى انتهى بهم الأمر إلى التماهى في رسومهم الصوفية والايغال في فكر ابن عربي دون خشية من سلطة الفقهاء إياهم وغيرهم .

(١) ابن أبياس - بدائع الزهور ج ٣ ص ٤٧ . ( قلا من كتاب الأدب الصوفي  
الإن السليم ) لصالح حين ص ٢ - ١ .

(٢) يقول بلاسيوس ( زاد سلاطين آل عثمان الاجلال لابن عربي لاذ نسبوا إلى بركاته وشفاعته الفضل في جميع ما ظفروا به من انتصارات وخصوصاً فتح القسطنطينية واحتضوا ابن ابن عربي تباراً بهذا الفتح لهذا فان سليم خان أمر ببناء مسجد باسمه وبناء مدرسة كبيرة على ضريحه ) . انظر كتاب ابن عربي : حياته ومذهبه ترجمة عبد الرحمن بدوي ص ٩٥ .

(١) يقول المؤرخ باخرمة في قتله عن الجندي والمزرحي ( الغالب على فقهاء جبال اليمن نصر الجندي ومآبله اعتقاد مذهب الخنايل وأما في عصر المزرحي فقد اختلف اعتقاد بعض الفقهاء للمذهب الأشعرية لكنهم لا يتظاهرون بذلك خوفاً على أنفسهم من جهة بلادهم . يقول باخرمة : وأعلم أن علماء اليمن لم يكونوا يوافقون الخنايلة في جميع معتقداتهم من التجسيم وغيره ثم يوافقونهم في القول والصوت والحروف ومن وافق على مؤلفاتهم في أصول الدين اجترأ ذلك وأما اليوم فجميعهم أشعرية ومتظاهرون بذلك ظله الحمد ولله ) عاش المؤرخ باخرمة في القرن العاشر الهجري .

اليمن في القرن الثالث أمثال العلامة الحسين بن جعفر<sup>(١)</sup> المراغي وغيره .

على أن هذه المذاهب قد شهدت نقاشا حقيقيا فيها بينما رأينا ذلك واضحا في أكثر من حادثة كملك التي وقعت بين العلامة يحيى ابن أبي الخير الصرائي المتوفى ٥٠٨ هـ وبين العلامة المتكلم جعفر بن أحمد بن عبد السلام المتوفى سنة ٥٧٣ هـ وقد أسفرت المناقشة عن مؤلف جيد لابن أبي الخير الصرائي ضمن الرد على ابن عبد السلام وهو بعنوان ( الانتصار في الرد على القدرية الأشرار ) رده على كتاب ابن عبد السلام المسمى ( الدامغ الباطل من مذهب الخنابل )<sup>(٢)</sup> هذا من حيث الجدال بين المذهب الحنبلي والمذهب الزيدي أما من حيث الجدال بين المذهب الحنبلي والمذهب الأشعري فقد مثل هذه الحادثة العلامة ابن أبي الخير الصرائي السابق الذكر وابنه طاهر الذي كان يعتقد المذهب الأشعري وكان بينهما جدال عنيف كان سببا في هجر الابن والده والذهاب إلى مكة<sup>(٣)</sup> ودونك هذا الانتماء القوي الذي يفرق بين الابن وأبيه على أن الغلبة كانت في النهاية للأشعرية<sup>(٤)</sup> . ولم يعد للحنابلة شأن يذكر في اليمن .

ومكذلك الجدال بين المذاهب الاعتقادية في اليمن سببا رئيسيا لانحلال العلماء عن الصوفية ردها من الزمن حتى لم تسكد تفتي المصنعة وبفرغ الفقهاء

وانفسهم إذا بهم يحدون الصوفية بين ضبرائهم يارسون من المسائل الاعتقادية مامو أفتح . فإكان منهم إلا أن أعادوا الكرة واففقوا في ما بينهم لمواجهة القوم وقد اتحد أشعريهم مع حنبلهم مع زيدهم فكان هذا التمزج المتجانس من الزهد التي صبغت النزاع بطابع محبب وكانت سببا في وجود الفرق بين الجانبين فالفقهاء قد أشبهوا الأعداء في وجود الصوفية ووافقوا في ملاحقتهم كتابيا حتى كان ذلك مصدر نهضة فكرية عظيمة خاض شعارها جماعة من علماء اليمن منجدها أولا في كتابات أهل القرن الثامن وهو عصر النزاع بين الفريقين . وهذه الكتابات تحتاج إلى دراسة مستقلة لما انطوت عليه من قضايا تاريخية وأخرى فكرية ستكون مرجعا شاملا لمن يريد التوسع في معرفة المجادلات الفكرية في البلاد .

على أني سأكتفي باستعراض المؤلفات دونما حاجة إلى الإغفال في دراستها إذ بعض هذه المؤلفات لا يعطيني الفرصة في الحديث عنه بتوسع لعدم وجوده بمرزقي الآن فإن أقدم مؤلف في هذا الشأن - فيما أرى - يعتبر من الكتب المفقودة وهو كتاب ( نصيحة المتكلمين ونصيحة المتكلمين )<sup>(١)</sup> . . . لفتية محمد بن موسى الذوالي المتوفى سنة ٧٩٠ هـ وهو في الرد على الصوفية وبيان تكلفهم في أمور العبادة وقد كان هذا العلامة أول من أشير<sup>(٢)</sup> الإنكار هل

- (١) ذكره الخزرجي في كتابه طراز أعلام الزمن ( مخطوط ) .  
(٢) لم أول من كتب في الرد على الصوفية من اليمنيين هو المؤرخ والفتية محمد ابن يوسف بن يعقوب الجندى المتوفى ٧٣٧ هـ الذي ينسب له السخاوي نرسنوى في شان الطائفة الصوفية أوردها في كتابه ( القول المنى من ترجمة ابن عربي ) وما يؤيد منه النسبة إليه نصيحة العديد على الصوفية في كتابه ( السلوك في طقات العلماء والملوك ) من ذلك قوله ( ان ابن عربي له معتقد غريب منه اعتقاده ان فرعون مات على الاسلام محقق وغير ذلك مما هو مشهور عنه في كتبه وانكره اعيان الفقهاء ) .

- (١) تولى سنة ٣٢٤ هـ انظر ترجمته في طبقات فقهاء اليمن لابن سمره ص ٨٣ .  
(٢) انصدر السابق ص ١٨٠ وانظر حول مناظرة الصرائي لابن عبد السلام .  
كتاب ( السلوك ) الجندى ( ومطلم البدور ) لابن أبي الرجال  
(٣) الجندى : السلوك . ويقول البربري في تاريخه انه لما اظهر طاهر الصرائي الفتنة الاشعرية أجمع الفقهاء في الإنكار عليه وكان من أبرزهم الفقيه احمد إبراهيم البربري للقلب بسيد السنة .

- (٤) انظر ما جاء في الهامش رقم (١) من الصفحة السابقة .

الصوفية بالكتابة وكان أكثر الجدال المستعربينهم قبل القنوال جرى بواسطة  
المناقشات والجدال الكلامي لا غير وهذا العلامة بعد ترجمته عند الكثيرين من  
مؤرخي اليمن<sup>(١)</sup> إلا أنهم لم يذكروا شيئا عن نزاعه مع الفقهاء ويبدو أنه كان  
مستقرا في الإيماء على الصوفية ولم يدخل حلبة الصراع إلا عن طريق قلعة قصى  
عبر به في الإسكاردون أنه يكلف نفسه مدقة الجدال الكلامي الذي قد يطلب  
قوة بيان وضاحة، ومع ذلك كان الصوفية يرمون جانبه وقد ذكر المزاجي  
أنه حين صنف كتابه في الرد على الصوفية أراد أن يعطى مصنفه هذا الخطيب  
عمر المملوك<sup>(٢)</sup> ليقراء على الناس في المبر بعد صلاة الجمعة وقد استاء الصوفية  
من هذا العمل ودعوا إلى الله أن لا يتم ذلك (فحصل في نفوس أصحاب الشيخ  
إسماعيل الجبرتي ما حصل وكنت - أي للمزاجي - ممن تأمر من ذلك فلما  
خرجنا يوم الجمعة لزيارة القبور ورجعنا إلى المسجد خطرت لي أن أدخل على سيدي  
الشيخ علي بن موسى الذرالي واطلعت بذلك وذكرت له ذلك فكان جوابه أن قرأ  
قوله تعالى (وليس جناهم شيئا) فخرجت من عند سيدي وأنا مسرور بهذا  
الجواب سرورا عظيما فبحثت إلى سيدي إسماعيل الجبرتي واطلعت بذلك فسر  
بجواب الشيخ مع أن سيدي الجبرتي ما كان معه أكثر من ذلك وتأمر من بل  
كان ذلك مع الجماعة الأصحاب فلما صلينا صلاة الجمعة بالجامع وكانت نفوس

(١) انظر - مثلا - عند المزرجي في طراز اعلام الزمن وتاريخ البيهقي وفيه  
الزمن للأفضل ونية الرحمة للسيوطي ص ١٠٨ .

(٢) هو عمر بن عبد الرحمن المملوك . . خطيب جامع زيد . يقول المزرجي : كان واحد  
زمانه في الخطابة لم يكن في عصره مثله في فاحية من اقطار اليمن اقام خطيبا في جامع زيد  
لعمر من حين سنة توفي سنة ٧٩٩ هـ : القواعد المؤلفية ج ٢ ص ٢٩٥ .

بعض الناس متعوفة إلى ذلك بما قد شاع واشتهر من كلام الشيخ محمد القنوال  
كان بعد الصلاة من ذلك شيء بل احتمل ذلك الخبر وعند فلم يظهر ذلك للصفة  
بعد ذلك ولا علم لها خبر<sup>(١)</sup> ومن هذا النص يتضح لنا تأثر الصوفية بممارضهم  
من الفقهاء - ولا عبرة بقول المزاجي أن الشيخ الجبرتي (ما كان عند  
أكثر من ذلك) فلما أراد أن يدفع عن شيخه تهمة الخوف من الفقهاء .  
والهم أن كتاب الذرالي كان فاتحة ورود عديدة وضما بعده مجموعة من  
العلماء على الرغم من أن الكتاب قد ضاع في عصر المؤلف (ولم يظهر له طبع  
ولا خبر) كما يقول المزاجي .

وقد جاء بعده العلامة أحمد بن أبي بكر الناصري المتوفى سنة ٨١٥ هـ ومرو  
حية في نقد الصوفية سنعرض له فيما بعد عند حديثنا عن النزاع بينه وجماعة  
الصوفية - وكتابه في انتقاد الطائفة الصوفية بعنوان (بيان فساد مذهب ابن عربي)  
ركوبه على عقائده (الشاطحة) وحلل مسائلها . ثم تلاه أبو بكر بن محمد  
الحياط (توفي سنة ٨١١) وكان أحد الدعامات الرئيسية في النزاع وقد اشتهر  
كتابه في الرد على الصوفية فأقامهم وأقدمهم وتصدى لرد عليه الشيخ محمد الدين  
القبوري أبادى في كتابه (الاغتياب لمعالجة ابن الحياط) فكان هذا لذلك سيا  
لزمه من قبل العلماء ووصفه بأنه (كان يحب المدارة)<sup>(٢)</sup>

أما وقد دخلنا غمرة النزاع فما هي قد تناولت المصنفات التي تضر لنا ذلك  
الترغ من القرب العلمي الذي وصل إليه اليمن خلال مرحلته الزاهرة بمدينة  
زيد فجاه بعد الناصري الفقيه محمد بن علي بن نور الدين الموزعي المتوفى ٨٢٥ هـ  
وكان من شأنه في المخرجه في هذه المسألة ما سنذكره فيما بعد وكتابه في الرد  
على الصوفية بعنوان (كشف الظلمة عن هذه الأمة) حل فيه حلال

(١) للمزاجي : هداية السالك (مخطوط)

(٢) ابن حجر المصلائي : (إنباء النسر) ج ٢ ص ٤٩ .

ابن عربي (١) ونقده في مواضع من كتابه الفصوص بقول الاهدل (ان الموزعي قد سبق فيه الفقهاء بتحقيق حال ابن عربي بمطالعة الفصوص وغيره من كتب وكتب اصول الدين (٢) ولا تدري ما يفتنه به الاهدل من قوله (سبق فيه الفقهاء) فاذا كان يقصد به السابق التاريخي فلا شك انه تقدم الموزعي ببعض الاعمال الراجعة في نقد ابن عربي كما بينا ذلك سابقا وإذا كان يقصد به (السبق) بمعنى الاجادة والتبريز على من هداه فلا شك في ذلك وقد كان كتاب الموزعي مصدرا لكثير من الذين تناولوا الصوفية بالرد كما هو الحال عند الاهدل نفسه الذي نقل كثيرا من كتابه (٣).

ثم كان ظهور ابن المقرئ واشتهار أمره في مقالته بتكفير الصوفية من اتباع ابن عربي حتى كادت هذه الناحية أن تطغى على شخصية ابن المقرئ الفقيه الأدب فلا أحد يذكر ابن المقرئ إلا برده على الصوفية ومع أنه ترك في نقد الصوفية مؤلفا مستقلا بعنوان (الرد على الطائفة الصوفية القوية) إلا أن هذا الكتاب لا يكاد يعرف بجانب قصائده السيارة في تكفير الصوفية التي حل بها ديوانه ويبدو أن هذا الكتاب قد جمعه من حصيلة السؤالات والجوابات التي كتبت حول شأن الصوفية ولم يعتمد تصنيفه كببحث مفرد.

على أن من آثار ذلك النزاع المحتدم بين الفقهاء والصوفية مؤلفات أخرى لا تزال تحفل بها المكتبة اليمنية وقد ذكر الأخ عبد الرحمن الحطرمي في قائمة مصادر كتابه (جامعة الأشاعرة) (٤) مؤلفا بعنوان (الافوال الواضحة الصريحة

(١) الاهدل : كشف الغطاء ص ٢١٧ .

(٢) المصدر السابق ص ٢١٧ .

(٣) انظر على سبيل المثال صفحة ١٧٧ ، ١٨٨ ، ٢١٨ من كتاب كشف الغطاء

(٤) عبد الرحمن الحطرمي : جامعة الأشاعرة ص ٧٢ .

فيما أحدث بوادي زيد من المناكر القبيحة ( لفتية موسى بن محمد الضجاعي المتوفى ٨٥١ هـ ومع أنني لم أطلع على هذا الكتاب إلا أني أكاد أجزم بأنه من ضمن الكتب التي تناولت الرد على الصوفية لأن الفقيه موسى المذكور كان أحد الذين ساهموا في النزاع القديم بين الفريقين في القرن التاسع وقد وصفه استخاوي بأنه (كان من أكبر القائمين على منتحل مذهب ابن عربي في اليمن بحيث أنه كان الخطيب في جامع زيد بالمشور المكتوب بالأشهاد على الكرهاني بهجر كتب ابن عربي) (٥).

ومن بصمات الواقعة على المكتبة اليمنية أيضاً مؤلف العلامة الحسين بن عبد الرحمن الاهدل المتوفى سنة ٨٥٥ هـ المسمى (كشف الغطاء) الذي يعتبر من الآثار الجيدة التي خلفها الفقهاء في نقد الصوفية ومؤلفه كان قد أدرك ردحا من الخصومة التي وقعت بين الفريقين في القرن التاسع وقد صور لنا شيئا منها في كتابه المغار إليه وكتابته في التاريخ المسمى (تحفة الزمن) وله مؤلفات أخرى حول هذه القضية سنعرض لها في موضع آخر من الكتاب (٦) على أن الاهدل بما أقدم في الرد على الصوفية إلا بعد أن عرف حقيقة حالهم وتمرس بأمرهم بقول (لم أزل في شيبتي وشيبتى اتصفح مذهبهم من كتبهم وكتب أهل السنة حتى اطلعتني الله على حقيقة مذهبهم وأنه اخبث النحل واكفر المثل) (٧) وقد توسع الاهدل في الرد على الصوفية واعتبرت مؤلفاته في هذا المضمار آخر الصبغات التي تعالت في الرد عليهم من قبل الفقهاء أثناء نزاعهم الشهير في القرن التاسع ، ويحق لنا أن نعتبرها القول الفصل بما تميزت به من استقصاء ومناهضة.

(١) السخاوي : الضوء اللامع ج ٩ ص ١٩٠ .

(٢) في الملحق الخامس بجرايم أعلام النزاع وقد حنفاه بعد تضيغ الكتاب .

(٣) الاهدل : كشف الغطاء ص ٢١٣ .

وقد سكنت الفقهاء بعد الاهدل بمدة طويلة ولم نعد نسمع صوت الانكار  
إلا بعد انقضاء زمن طويل على عصر التصادم في القرن التاسع سکن خلالها  
الفقهاء فكشف عنهم الصوفية .

إلا أن القرن العاشر بما عرف به من تحرك ملموس في أمور السياسة  
والثقافة بعيد لنا سيرة النزاع الأول بينهما وكأن هذا القرن قد عرف شيئاً من  
التصادم بين الفريقين على أثر قيام الإمام شرف الدين بمحلته السابقة ضد الصوفية .  
ففي هذا القرن ظهر كتاب الشيخ العلامة عبد الله بن عمر ( بامخرمة ) المتوفى  
سنة ٩١٢ هـ ( حقيقة التوحيد ) وقد اطلع على هذا الكتاب المؤرخ يحيى بن الحسين  
في القرن الحادي عشر (١) وجاء على أثره مؤلف الشيخ محمد بن يحيى بهران  
المتوفى سنة ٩٥٧ هـ المسمى ( الكشف والبيان في الرد على متصوفة الرومان ) وهو  
استجابة واضحة لتبرير موقف الإمام شرف الدين في اضطهاد الصوفية ومع ذلك  
فإن هذا الكتاب نادراً ما يذكر في قائمة مؤلفاته وقد أيد نسبت إليه المؤرخ  
يحيى بن حميد المتوفى سنة ٩٩٠ هـ صاحب كتاب ( نزهة الانظار ) وغيره .

ولكنه من أتى بعد بهران من العلماء الناقين على نهج ابن عرب الصوفية  
نرى أن نعددهم هنا في هذه القائمة القصيرة مراعاة للاختصار :

١ - يحيى بن حميد بن الحسن المقرئ المتوفى سنة ٩٩٠ هـ وله ( تعليقات )  
على كتاب ابن بهران المشار إليه سابقاً .

٢ - أحمد بن شايح الدعاعي اللوزي المتوفى سنة ٩٩٣ هـ وله مؤلف بعنوان  
( نصوص العلماء في تخطئة الصوفية ) (٢) وهذا الكتاب يفسر لنا وجهة نظر  
الزيدية في معاداتها للصوفية بصفة عامة :

٣ - يحيى بن الحسين المتوفى سنة ١١٠٠ هـ : في مواضع من كتابه بهجة  
الدين ( مخطوط ) .

٤ - صالح بن مهدي الملقب المتوفى سنة ١١٠٨ هـ ( العلم العام في إنبار  
الحق على الآباء والمشايع ) يراجع نقده للصوفية في هذه الموسوعة الضخمة من  
نصف ٤٩٠ إلى ٥١٠ .

٥ - أحمد بن عبد الله السلمي المتوفى سنة ١١١٦ هـ له مؤلف في الرد على  
الصوفية (٣) .

٦ - محمد بن إسماعيل الأمير المتوفى ١١٨٢ هـ مؤلف مفقود في الرد  
على أهل وحدة الوجود بعنوان ( نصرة المعبود في الرد على أهل وحدة  
الوجود ) (٤) وينظر رده على الصوفية أصحاب هذه النحلة في عدة مواضع من  
كتبه ككتابه ( فتح الخافق شرح معادح رب الخلاق ) وديوانه ص ٣٣٠ .

٧ - محمد بن علي الشوكاني المتوفى سنة ١٢٥٠ هـ له كتاب في الرد على أهل  
وحدة الوجود بعنوان ( الصوارم الحداد القاطعة لأغناق أهل الاتحاد ) وهو  
جواب على سؤال ورد عليه يقول في وصفه ( أوضحت فيه حال كل من هؤلاء  
الصوفية وأوردت نصوص كتبهم وبينت أقوال العلماء في شأنهم وكان تحرير  
المجاب في هفوان العباب وأنا الآن أوقف في حال هؤلاء ) (٥) .

والعلامة المقبل وابن الأمير والشوكاني يفترون جميعاً من مذهب الإمام  
محمد بن إبراهيم الوزير المتوفى سنة ٨٤٠ هـ في مسألة الصوفية وغيرها . وقد أودع  
شيئاً من ذلك في موسوعته الكلامية المسماة ( العوامم والقواصم في القب  
من سنة أبي القاسم ) .

(١) الزبارة . بحر العرف ج ١ ص ١٧٤ .

(٢) حيدان الميحي : مجلة العرب السنة ٧ ص ٧٨٤ .

(٣) الشوكاني : البحر الطالم ج ٧ ص ٣٤ .

(١) يحيى بن الحسين : بهجة الزمن ( مخطوط ) والاعلام ج ٤ ص ٢٤٩ .

(٢) مطلع البصائر ( مخطوط ) وأئمة اليمن لزبارة .

٨ - وآخر من تذكرهم من الذين ضلوا بالرد على الصوفية العلامة أحمد بن محمد الجرافى المتوفى سنة ١٣١٦ الذى ترك فى هذا السبيل مؤلفا بعنوان ( الدليل القهار فى الرد على الصوفية الاشرار ) (١) .

هل أن كتابات المتأخرين لا تخلو من تلميح إلى مسئلة الصوفية وقد كان لمدرسة الشيخ محمد بن سالم اليجانى المتوفى ١٣٩٢ هـ السلفية أثر فى إحياء علوم السنة فى اليمن وله مصاولات ومجالات حول هذا الموضوع نكتفى من ذلك بقره فى كتابه ( أشعة الانوار على مرويات الاخبار ) الذى يرد فيه على الصوفية أصحاب الحلول يقول فى كلامه عن ابن عربى والحلاج ( أما ابن عربى فهو الذى ملا الأذان صيته وانتشر ذكره فهو وحسين الحلاج حالهما مخالف تماما لأحوال المتصوفين فى الاسلام فالشيخان حلويان ويقولان بوحدة الوجود وفى كتاب الفصوص والفتوحات المكينة وغيرهما من كتب ابن عربى وما يروى عنه من الأمور المخالفة للشرعية وكذلك ما يروى عن الحلاج من الكفر الصريح كقوله ( أنا الله ومافى الجبة إلا الله ) فذلك مخالف تماما لتعاليم الاسلام ويستحقان عليه القتل والناس فى أمر الرجلين الحلاج وابن عربى فريقان أحدهما يقر ما كان عليه ويؤمن أنهما من أولياء الرحمن والآخر يقول كافران شقيان ومحسوبان من أولياء الشيطان ومن تمسك بالشرعية فى الحكم عليهما فهو ناج إن شاء الله ومن رضى بهما وتأول الباطل منهما فهو هالك وسالك بأشر المسالك ) (٢) .

ولقائل أن يقول أين كان الصوفية أمام هذا السيل الجارف من الردود وهل فيهم من وقف أمام الفقهاء يعبر عن وجهة فريقه أم تركوا الجبل على الغارب واكتفوا من النتيجة بالاياب ؟ هنا تدرك أن صود للصوفية نجاه الفقهاء كان

(١) زبدة : أئمة اليمن فى القرن الرابع عشرى ٢٨٠ هـ .

(٢) اليجانى . - أشعة الانوار على مرويات الاخبار ج ٢ ص ٢٧٩ .

ضعيفا إلى الغاية من الضعف وأن الفلة القليلة منهم الذين تصدوا لرد على الفقهاء كانوا فى حاجة إلى انصهر القوى الذى يدفع حجج الفقهاء القوية وقد وجدناهم حين أرادوا نقد الفقهاء قد تنبطوا فى معميات من الافتراضات البعيدة التصور واعتمدوا على روايات وحكايات ضعيفة لا يسلم لهم بها خصومهم من الفقهاء حتى أن المراجعى - وهو أول من تصدى لرد على الفقهاء بعد شيخه ابن الرداد أثناء الحادثة - يبنى كتابه على قاعدة واحدة من قاعدة التسليم للصوفية فى كل أنماهم وأقوالهم ويربط كل ذلك بحسن الظن بقول مخاطبا ابن المقرئ ( يا أخى إذا كان حسن الظن بحجر جماد ينفع فإظنك بمن أحسن ظنه يؤمن بأولى من أولياء الله تعالى يكون النفع بذلك أعظم بلا شك ولا مرية وسوء الظن بالله تعالى وأهل الاسلام شركه ) (١) .

ولكن يبدو أن المراجعى فى رده على الفقهاء كان فى واد وهؤلاء فى واد والافمن ابن له بتسليم الفقهاء لقومه وهم فى دور المنقذ لهم المستريب بأعدائهم مع ما عرفوا به من المماحكة والمجادلة الدديدة فى مثل هذه القضايا التى تمر بالعقيدة .

وعلى كل فأمامى فى هذا المجال بضعة كتب أولها مؤلفات الشيخ أحمد بن أبي بكر الرداد والمتوفى سنة ٨٢١ فى الرد على الفقهاء وهى كالآتى : -

- ١ - ( عدة المسترشدين وحصمة أولى الألباب من الزيغ والزلل والشك والارتياب ) (٢) .
- ٢ - ( الشهاب الثاقب فى الرد على بعض أولى المناصب ) (٣) .
- ٣ - ( السلطان المبين والبرهان المستبين فى ظهور الحق على من كفر أهل )

(١) الزجاجى . : هداية السالك ( مخطوط ) .

(٢) (٣) الشاوى الضوء اللامع ج ٧ ص ١٦٣ .

السمع من أولياء الله القريبين (١).

وه غير هذه الرسائل التي جالغ فيها مفسكات الصوفية التي يثيرها حرمم  
الفتهاء كرسالة في تحقيق قول بعض الصوفية ( نحننا بهرا وقف الانبياء على  
ساحه ) (٢) ورسالة في معنى قول الشيخ أبي الفيث بن جميل ( إن البلاد التي  
كانا قديما ليس فيها مطيعا لله ولا حارس بحال ) (٣) وغير ذلك وقد جاءت هذه  
الرسائل في الوقت المناسب حيث عاصرت شدة الحركة التي دارت بين الجانبين  
وكان الصوفية في حاجة إلى الصوت القوي المبرر عنهم أمام تحديات الفتفاء  
الكثيرة ومن هنا جاءت رسائل ابن الرداد لتسد هذا النقص إلا أن ابن الرداد  
ما كان في استطاعته أن يشر قوله الصريح في وجه الفتفاء لولا أنه حطى بمنصب  
النضاه العام الذي كانت تصدر عنه الاحكام الشرعية فجاء قوله قويا ومعبرا بكل  
شجاعة من جاءت .

ثم جاء بعد ابن الرداد تلميذه وزميله العلامة محمد بن القاسم المزجاجي  
المتوفى ٨٢٩ هـ فكتب في السنة التي توفي فيها ابن الرداد مؤلفه المسمى ( هداية  
السالك إلى اسنى المسالك ) وهو في الرد على الفتفاء في شخص ابن المقرئ يقول في مقدمة  
( هذه رسالة من العبد الفقير . . . إلى الاخ في الله سبحانه الفقيه شرف الدين  
إسماعيل بن أبي بكر المقرئ سلمه الله تعالى وحفظه ووفاه وإلى كل من يشكر هل  
الطائفة الصوفية نفع الله بهم الخ . . . ) وهذا الكتاب من أهم ما وضع في الدفاع عن  
الصوفية وستدرك أهميته إذا علمنا أنه كان إثر الحركة بين الفريقين خلال النصف

(١) للمزجاجي : نهاية السالك ( مخطوط ) .

(٢) الضوء اللامع ج ٧ ص ١٦٣ ونسب الجليل هذه القول إلى الشيخ ابن جبيل ( انظر  
الانسان الكامل ج ١ ص ٧٤ ) .

(٣) المصدر السابق ج ٧ ص ١٦٣ .

الأول من القرن التاسع ، وقد كان المؤلف في رده على ابن المقرئ قد استعمل كل  
جارات الادب والتقرير بخلاف خصومه من الفتفاء الذين يطلب عليهم طابع  
النضب والتشج وقد دخل المزجاجي على خصمه ابن المقرئ بدخل الصديق  
الناصح والمرشد الذي يهجمه شأن زميله ومن هنا جاءت عبارات المزجاجي به  
سلطة نعم منها رائحة الإخلاص والبراءة على الرغم من ضعف الحجة التي يدل  
بها وعدم استنادها على دليل قوي يهزمه في وجه خصمه .

وبالجملة فإن كتاب المزجاجي هو الأثر الباقي الناصر للصوفية من بين  
الأثار الكثيرة التي خلفتها لنا الأئمة الثلاثة بين الفريقين والتي كتب أغلبها فريق  
الفتفاء وهو كتاب له قيمة القصوى بالنسبة لهذه الحادثة ليس من حيث قيمته  
الفكرية بل ومن الناحية التاريخية حيث ذكر معلومات تاريخية كثيرة عن  
الصوفية لانحداها في غير هذا الكتاب .

وبالرد من قبل المزجاجي على الفتفاء يلتزم الصوفية السكوت فلا أحد يظهر  
منهم بعد هذا التاريخ حتى تمر مرحلة طويلة نعدما بالقرون فيظهر منهم جماعة  
من المناهضين الذين أخذوا على أنفسهم قضية الصوفية والدفاع عنهم كالصوفي  
محمد بن طاهر الحداد المتوفى سنة ١٣١٦ هـ صنف كتابا بعنوان ( الآيات الباهرة  
في اختطاف الألفهم القاصرة ) تلمس فيه الحماس المفرط للصوفية إلى درجة  
تخرجه عن الحد . ومنهم في العصر الحديث الشيخ إسماعيل بن مهدي الغرياني  
مؤلف كتاب ( نفس الرحمن فيما لاحباب الله من طو القان ) الذي خصص في  
الرد على من يشكر على الصوفية وهو مقسم على فصول وأبواب إلا أنه لا يجتهد  
في أكثر الأحيان على المنطق العقل الذي يأخذ به خصومه من الفتفاء ومن  
فصوله الرئيسية فصل في الرد على من كفر المسلمين وفصل في مفرجة تنظيم  
الأولياء والأنبياء وفصل في مشروعية التبرك بالصالحين (١) .

(١) انظر هذا الكتاب وهو مطبوع في عدن سنة ١٣٨٠ هـ في ٢١٧ صفحة .

# أحداث النزاع التاريخيه

في تاريخ النزاع التاريخيه  
في تاريخ النزاع التاريخيه  
في تاريخ النزاع التاريخيه  
في تاريخ النزاع التاريخيه  
في تاريخ النزاع التاريخيه



## المرحلة الأولى

وأما في فصل لاحق كيف تكونت مدرسة ابن عربي في التصوف اليمن خلال القرن السابع بعد هجرة المقدسي إلى اليمن وتجمع تلاميذه حوله أمثال ابن (البابة) (١) الذي كان له نفوذ قوي عند الملك الأشرف قبل توليه الملك بعده. وكان المقدسي أكثر ما يجتمع بتلاميذه في المدرسة العليا المعروفة بمدرسة أم السلطان بمغربة تمر (٢) (وكانوا يتذاكرون في علم التصوف بها لا تفتحه المظفر ولا تقبله) (٣) وهو شيء غريب على أهل اليمن فلم يقبلوه منه (ونسبوه إلى الوافدة) (٤).

وبناءً على الإقرار أن يقصد هذا الزمن أول نزاع حاد بين الفقهاء والصوفية عندما كان الفقيه أحمد بن عبد الدائم الصفي المتوفى سنة ٧٠٧ هـ أحد قضاة عصره المتمكنين من علمهم تلميذا لابن البابة السابق الذكر وقد حضر مع شيخه هذا ما يدور بينهم من نقاش فلسفي استكره عليهم وعده من مأخذهم مسائل أخفها (أنهم يشككون في صدق القرآن ويقولون أنه ليس من كلام الله) (٥).

(١) ورد اسمه في المخطب البنية في عدة صور مختلفة ففي العقود الأولية يرد ذكره أحيانا هكذا (ابن التائه أو ابن التابة أو البابة) ١ ص ٢٠٦ و ٢٨٩ وغيره (٢) ول كنف النطاء بابن البابة ص ٢١٧ وفي مخطوطه هدية السالك بابن البابة ولد ضبطا اسمه من مخطوط طراز أعلام الزمن بقلم مؤلفها المزرجي :  
٢ - ٣ - ٤ - ٥ - الجندي : السوك (مخطوط) .

فإن كان من صاحبنا إلا أن اجتمع بزملائه من الفقهاء وأسر لهم هذا الأمر  
النظر الذي أقامهم وأقدمهم . فاتفق رأيهم على الاجتماع في منزل الصبيح ابن  
يكرين آدم الجبرتي وكان رئيس الفقهاء في عصره .

• في منزل الجبرتي •

شهد هذا المنزل أول اتفاق منسق بين الفقهاء في شأن الطائفة الصوفية  
الخارجين عن شريعة . يقول الجندى في ذكر هذا الاتفاق ( اجتماع الفقهاء  
إلى الجبرتي وأخبروه بما شهد ابن الصفي فصحب عليه ذلك وقال له الفقهاء رأينا  
نعم رأيناك فأشتر بما شئت فنحن نمثلون وقم لله وإلا انتفرت هذه البدة بومرق  
الناس من الدين ) وهنا انتهى رأيهم في هذه الجلسة على خطة معينة يوقعون بها  
المقدس وتلميذه ابن البابة (١) .

• خطة الفقهاء للقضاء على المقدسي وتلاميذه •

ههنا من الفقهاء التدخل دائما في مثل تلك القضية التي تمس الغريزة فلا  
غربة إذا أسفر اجتماعهم عن مؤامرة مبيتة تهدف إلى القضاء على المقدسي وابن  
البانة وإعدامهما بالكلية . ففي الاجتماع السابق شرح الفقيه الجبرتي وخطة الرامية إلى  
ذلك بأن يذهبوا جميعا إلى المفرقة بقصد حضور صلاة الجمعة في مسجد الكبير  
على أن يرمسوا خطرات المقدسي وزميله فإذا جاء الصلاة — يقول الجبرتي —  
( أوفنا بهما وقتلناهما وأرحنا المسلمين منهما والإسلام ) وينفض الاجتماع  
بموافقة الفقهاء جميعا على خطة الجبرتي بعد أن ( أجابوه على الطاعة وتعاقدوا  
على ذلك ) (٢) .

• فشل المؤامرة •

ولكن المؤامرة لم تنجح إذ سرعان ما نفا هذا الخبر إلى المقدسي وتلميذه

(٢٠١) الجندى : السوء (مخطوط)

الذين أخذوا يعملان الفكرة لصدد كيد الفقهاء نحومهم وانفقا على أن يستعينوا في  
هذا الأمر بوالى المدينة الأمير الوائق باق ابن الملك المظفر الرسول الذي زود  
المقدس بجماعة من العسكر يحفظونه أثناء دخوله الجامع للصلاة .

وحين جاء وقت الصلاة حضر الجبرتي من ( ذي مدينة ) وكان يعمل مدرسا  
بها واجتمع بزملائه من الفقهاء الذين احتشدوا في جامع المفرقة على أمل وجود  
المقدس وتلميذه ليوقعوا بهما كما تم الاتفاق بينهم سابقا فإذا بالمقدس يدخل  
المسجد ومعه جماعة من الرجال يحرسونه بالسلاح فلم يتمكن الفقهاء من المساس  
به وفشل الخطة . أما ابن ( البانة ) بما انتقل عليه من لبانه وحسن تصرف —  
وقد كان هو الذي أشار للمقدس بالالتجاء إلى الوائق — فقد نسل خفية من  
مدينة ثم بعد أن اكترى هجينا وتوجه من فورده إلى مدينة زيد للاجتماع  
بالملاك المظفر وإطلاعه على ما دبره الفقهاء .

وعند وصوله إلى مدينة زيد ارتضى على باب منزل الأمير الأشرف له  
بصافته له وإدلاله عليه واستضاف به في صورة مؤثرة حتى ( استدعاه واستخبره  
عن أمره ) (٣) فأخبره بالقضية من أولها إلى آخرها وسجد ابن البانة قد استغل  
مداقته مع هذا الأمير لغرض التوسط له عند والده الملك المظفر بشأن هذه  
القضية وقد وقف معه هذا الأمير وطلب منه تحرير مکتوب يفرج فيه ماجرى  
له ليقدمه عند والده .

• تدخل الدولة في هذه القضية •

يقول المؤرخون أنه لما أتم ابن البانة كتابة التقرير الذي يلجرح فيه حادثة  
الفقهاء معه هو وزميله المقدسي دخل بها الوائق إلى عند والده الملك المظفر الذي

(١) الجندى : المصدر السابق مخطوط .

ماله ما وصل إليه الأمر بين الفريقين في مدينة تمر ( وصحب عليه الأمر ونحى  
أن تلبى المسألة بين الفقهاء والصوفية إلى شقاق كبير ) (١) فكتب الملك المظفر  
إلى الفقهاء رسالة شديدة الحجة يحذرهم فيها من القيام بمثل هذه الأعمال المقلقة  
لأمن الدولة ويحث بالرسالة إلى والى مدينة تمر بعد أن أمره أن يقرأها على المنبر  
لبسها جمهور الفقهاء وغيرهم .

أما نص هذه الرسالة التي كتبها الملك المظفر إلى الفقهاء فقد أوردته جماعة  
من المؤرخين منهم المزجاني الذي أطلع على أصل المکتوب في ورقة قديمة  
جده فيها :

( اظلم الضياء وخبطتم في مشواء فاقنصروا عن هذه الامواء واشتغلوا  
بالنصوص فانك يا ابن آدم (٢) ) أهني المتفقه وأمثالك عن هو في تلك الجهة لم  
يخط طلبا بما في كتابه ولو بهت أحدكم وسئل عن مسئلة فيها قولين لم يكن في  
قدره الجواب عنها حتى يكشف ويطلع وإذا كان يعيبكم ما أفنيتم فيه أعمالكم  
فكيف تخرجون إلى أموية تقيمون لها أمثالا بظاهر الفاظكم مما يستدل بها على  
على أمويتكم فاعندوا على الكتاب والسنة والصحيح من حديث رسول الله (ص)  
واتركوا التمسك بالموضوعات على النبي (ص) فلهذا علماء يورودون ويصدرون  
ولستم من ذلك النمط في شيء فالحذر كل الحذر فمن حذر فقد انذر فإن اقتصرتم  
والا قصركم السيف من طول السان فإنما قصدكم التلبس على العوام بجبل  
وقال (٣) .

(١) المصدر السابق .

(٢) يعني به الشيخ أبو بكر ابن آدم الجبري :

(٣) للمزجاني : هداية السالك ( مخطوط ) وانظر هذه الرسالة في الجندی : السلوك  
( مخطوط ) والاميل كشف النظار ص ٢٢٩ .

• تعقيب على رسالة السلطان في شأن الفقهاء .

لم يكن للدولة الرسولية في ذلك الوقت سياسة دينية معينة فهذه الدولة لم  
تكن تحكم حكما دينيا ( ثيوقراطي ) كما هو الحال في دولة الإمام وقد وقفت في  
هذا النزاع موقف المحايد البعيد عن أي انتماء معين وهو الموقف الاصلح لها  
كدولة ترمي حقوق الأمة من اختلاف أنواعهم وخاصة وأنها أمام فئة حبيفة  
من الصوفية حاول التجنى عليها جمهور كبير من الفقهاء بما عرفوا به من العدة .

وقد كان السلطان في رسالته السابقة مضطرا إلى أن يناقش الفقهاء بأسلوبهم  
التيح هندهم فحاول أولا الطعن في معارفهم وما وصلوا إليه إذ الواحد منهم  
( لو بهت في مسألة فيها قولين لم يكن في قدرته الجواب عنها حتى يكشف  
ويطلع ) وبمضى طيلة ليلته ينتقب ويفتش .

ثم عرض لعلهم الاموج في التجنى على الصولية واعتبره من آمار حقولهم  
الضعيفة التي تصور مسألة خيالية فتجسدها إلى عالم الواقع . إذ سرعان  
ما اختمرت في أذهانهم مسألة تكفيرهم فحاولوا الإقدام على خطوة كبيرة هي  
القتل وهو الأمر الذي يعتبر تحديا للسلطات العليا وتدخلها فيما هو من اختصاصها  
وقد أشار إلى ذلك بقوله مستكرا عليهم اقدامهم الخطير ( كيف تخرجون إلى  
أموية تقيمون لها أمثالا بظاهر الفاظكم مما يستدل بها على أمويتكم ) .

وأخيرا لم يبق أمام السلطان المظفر كسلطة عليا إلا أن يهددهم بما هو أشد  
من التحذير وهو القتل إذا لم يكفوا عن مثل هذه الأعمال المقلقة لأمن الدولة  
ولعل في ذلك ما يردع من رسول له نفسه بالقيام بعمل مقابله لفظتهم تلك يقول  
( الحذر كل الحذر فمن حذر فقد انذر فإن اقتصرتم والا قصركم السيف ) وهذا  
غاية ما يأتي من الملك المظفر .

وقد بطل فريق الصوفية أن في هذه الرسالة مناصرة لهم على الفقهاء ويستدلون

بها على تأييد الدولة الرسولية لهم كما رأينا ذلك صراحة في قول المزجاجي عند  
مرور الرسالة مخاطباً ابن المقرئ (١).

وليس الأمر كما اعتقد المزجاجي إذ المسألة هنا قضية جماعة خرجت عن نطاق  
القانون وكان الأول ردعهم وتخويلهم بنقض الظر عن انتائهم وميولهم . وهذه  
من الوجبة الوحيدة أمام الدولة لضمان حرية القول لشق فئات المجتمع .

• حالة الفقهاء بعد التهديد •

بعد سماع الفقهاء إنذار الملك المظفر سكتوا عن الصوفية ولم يعد نسمع منهم  
إنكاراً خفية من قيام الدولة بحمة تأديب ضدهم وخاصة وأن الإنذار كان شديد  
الجهة وقد وصف الجندي حالة الفقهاء بعد سماعهم التهديد أنهم ( تفرقوا وذهب  
أمرهم شغباً ) (٢) أما العلامة ابن الأمد الذي نسمع صوته بعد مضي  
ما يقرب من قرنين على الحادثة يستذكر على الفقهاء سكوتهم ويقول ( كان ينبغي  
عليهم أن يجيبوا السلطان المظفر وينصحوه بكتاب لطيف ويظهروا له الحق ليرجع  
عن إنكاره عليهم ) (٣) ولكن الفقهاء خشوا من عقبي هذه المراجعة والسلطان  
لا يزال في ثورته عليهم وكان على الأمد أن يقدر ظرفهم ذلك المخرج وبسكوت  
الفقهاء انتهت أول جولة من الصراع بين الفريقين .

• موقف الدولة الرسولية من النزاع •

على أن قصر مدة هذا النزاع وانحاده وهو في مرحلته الأولى لم يعطنا صورة  
واضحة من وجهة الدولة الرسولية أمام تلك المنازعات بين الفقهاء والصوفية فقد  
سكتت الدولة ولم تظهر أي انحياز إلى أحد من الطرفين المتنازعين إلا من خلال

(١) للمزجاجي : للمصير السابق ( مخطوط )

(٢) الجندي : السلوك

(٣) الأمد : كشف الظلمات

التهديد للمرسل إلى الفقهاء وهو غير كاف لبيان موقفها حيث لم نجد فيه سوى  
تفريعات شكلية لحفظ الهدوء ولا يجب أن يفهم بأنه انحياز إلى جانب الصوفية  
كما افترنا إلى ذلك فيما سبق .

ولم نجد الدولة تتدخل في مثل هذه القضايا إلا في المرحلة الثانية من النزاع  
الذي وقع بين الفريقين في منتصف القرن الثامن وما بعده وذلك لاستمرار هذا  
النزاع مدة طويلة واضطرار الدولة إلى الانحياز أحياناً أو إلى المحايدة أحياناً  
كثيرة وهذا ما سنبينه في فصل آخر .

• المرحلة الثانية من النزاع بين الفقهاء والصوفية •

كان النزاع بين الفقهاء والصوفية في القرن السابع أول حادثة من نوعها بين  
الفريقين وقد تركت آثارها في النفوس ووجدت لها متفهماً في أكثر من واقعة  
بصورها لنا التاريخ اليمني . ومع أن المسألة كادت أن تنتهي بين الفريقين عند  
قيام السلطان المظفر بتهديد الفقهاء وردعهم إلا أنه ما كاد ينقضي هذا العصر  
حتى يعود الخصام بأشد مما كان وقد ذكر لنا أهل التاريخ أشياء من ذلك  
كثيرة (١) سيجد ما الباحث في النخل الجيد لمحتويات المخطوطات اليمنية . هل أن  
حقيقة النزاع من حيث هو مجابهة كبرى بين الفريقين يندى في القرن السابع  
عند قيام الصوفية بنشاط ملموس في الدعوة إلى التصوف والتوسع في فلسفاتهم  
الطولية والعملية ولم يعد من أمرهم التسكيت في تعاليمهم والتسكت كما هو الحال عند  
جيلهم الأول من المتصوفة .

(١) من ذلك ما ذكره المزرجي في ترجمة حسين بن أبي بكر السوي الحنفي ٧٠٤  
يقول ( سكان قتيها صالحاً وكان ينكر على الفراء ( الصوفية ) الرقص والسماع فلذلك اتجم  
لفقهاء عليه ولم يزل حذراً من السلطان بعد أن وشى به أنه يحصل بأمر الزيدية ) القود  
القولبة ج ١ ص ٣٦٦ .

وقد كان الصوفية في هذه الفترة يتزعمهم الصوفي الكبير الشيخ إسماعيل بن إبراهيم الجبرتي المتوفى سنة ٨٠٦ هـ وقد انضم إليه اتباع من الصوفية انتشر شأنهم وتكاثروا حتى أصبحوا يتكفون قوة صغيرة لهم نفوذ وسلطة بجانب نفوذ الدولة ولم يقتصر أمرهم في ممارسة نفوذهم المدني على القضايا الدينية والشعائر الصوفية بل تعدى ذلك إلى القيام بإصدار أحكام في حق المخالفين من المذاهب والمعادين لهم مما يفسر لنا مدى سلطتهم القوية عند الدولة الرسولية ، يقول المؤرخ في حوادث سنة ٧٩٧ هـ :

( وفيها أمر الشيخ إسماعيل بن إبراهيم الجبرتي بضرب الشيخ صالح الدكي بضرب بالسياط ضرباً مبرحاً ثم إن الشيخ إسماعيل استأذن السلطان في إخراجه من اليمن فأجابه إلى ذلك وصرف أمره إلى أمير البلد فأرسل به إلى البحر وأمر نوابه أن يسافروا به إلى بر الصنع ) (١) .

ولا غرابة إذن بعد كل هذا أن يرداد نفوذ الصوفية وأن يتوسعوا في تعاليمهم دون خشيته من رقيب أو منكر عليهم .

(١) الطود الأولى ج ٢ ص ٢٧٢ ولله نفس المعاني إليه عند الشوكاني باسم صالح للمصري فقد ذكر أن هذا الشيخ كان ينكر على إسماعيل الجبرتي فتمصب عليه الصوفية حتى نفوه له الهند فقال أحد الشعراء ينكر على الجبرتي وجاحته في قيامهم بنفي المصري :

صالح للمصري قالوا صالح ولمصرى أنه لمنتخب  
كان ظني أنه من فية كلهم أن تمنعهم فخطب  
رمبط إسماعيل قطاع الطر يق إلى أنه وارياب الرب  
سئل عنى راع فاعة اكذب فيهم على الدنيا كلب  
البحر الطالع ج ١ ص ١٢٩ .

## مراحل النزاع الأخير

وكان لذلك النفوذ أثر في أصكات الأصوات المنكرة ولم نسمع لفقهاء رأياً معارضاً إلا بعد القضاء مدة طويلة رأيت أولاً على شكل معارضة بسيطة يثيرونها من خلال مسائل فقهية صغيرة إلى أن تطور النزاع إلى نواحي أخرى وأصبح كل فريق يكفر الآخر بل لم يكتفوا بهذا فقد أخذوا يتعاطون التعصير طناً حتى دخلت القضية طوراً سياسياً أوسع على أثر مشاركة الدولة الرسولية في هذه الناحية وانحيازها مع بعض الفرقاء حيناً من الزمن .

وقد مر النزاع بين الفقهاء والصوفية بثلاث مراحل رئيسية تمثل كل ما يجري بينهما حتى خمد القضية وانتهت بها . وقد رأينا تقسيمها على الوجه الآتي :

### — المرحلة الأولى من سنة ٧٩٦ هـ إلى سنة ٨١٧ هـ

وهي المرحلة التي شهدت قيام الفقهاء بحملات ضد الصوفية واستنق الملك الناصر أحمد بن الأشرف لإسماعيل في شأن كتب ابن عربي ومطالعته ثم عرض العلماء في الإجابة على فتوى الناصر ومنهم العلامة محمد الدين القبرورجاني الذي تولى القضاء المسام في اليمن من سنة ١٩٦ إلى سنة وفاته وانحيازاً إلى جانب الصوفية .

### — المرحلة الثانية من سنة ١٨٧ هـ إلى سنة ٨٢١ هـ

وتتمثل انتصار الصوفية على الفقهاء وتشكيل أرائك بهم على أثر تولي أحد الصوفية زمام القضاء العام وهو الصوفي الكبير أحمد بن أبي بكر الرداد .

### — المرحلة الثالثة من سنة ٨٢١ هـ إلى سنة ٨٢٧ هـ

وهي فترة استعادة الفقهاء سيطرتهم وملاحقتهم لحصومهم ، ثم خمد جذوة النزاع بين الفريقين بعد وفاة ابن المقرئ سنة ٨٢٧ ولم يعد الفقهاء يبنون بالرد على الصوفية لاسباب تعود إلى ميل السلطة إلى الصوفية كما أشرنا في فصل لاحق .

وقد كان النزاع في مجله نوعاً من الترف العلمي الذي وصلت إليه البلاد في عصر الرسول إذ لم يعد الفقهاء يحضرون انفسهم في دراسة المسائل الفقهية المعقدة بعيداً عن الاحداث العلمية المعاصرة لهم وهذا ما يفسر لنا تحول بعضهم من البحث في مواضيع فقهية عادية إلى مجالات أوسع من الدراسات العلمية .  
ولأنه أن حرصنا إجماعات النزاع في هذه المراحل الثلاث فاعلينا الإفادة للوضع من شتى اتجاهاته .

### الحياة العلمية في ذلك الوقت

المعاني قول سائر إلى أن النزاع بين الفريقين كان نتيجة طبيعية لتلك النهضة العلمية التي شهدتها اليمن خلال الحكم للرسول ولم يكن النزاع محصوراً بين الفقهاء والعلماء وحدهما وكان كثيراً ما يحدث بين أصحاب الفن الواحد وغالباً ما يثار نقاش حول المسائل الفقهية فيعقبك الفقهاء فيما بينهم في نقاش حاد وربما خرجوا من نطاق البحث إلى التحدي السافر لبعضهم البعض وقد ذكر ( البرهسي ) أن العلماء في عصره قد اختلفوا في عدد تجديد بناء الكعبة فثارى العلماء في هذا حتى أرسلها العلامة محمد بن أبي بكر الحياط الحنوف سنة ٨٣٩ إلى ١١ بناء في مؤلف له بعنوان ( التحقيق في عدد بناء البيت العتيق ) (١) وهذا نموذج بسيط وإلا فالتواضع على ذلك كثيرة وقد اذكر النقاش من زاوية أخرى سلاطين بني رسول وقتما يجتمع لهم بالعلماء من نقاش يثيره أولئك السلاطين بما جعلوا عليه من حب المعرفة وقد أشار الخورجى إلى بعض مما يدور في تلك المجالس من ذلك ما ذكره في حوادث سنة ٧١٦ يقول :

( في يوم الاحد ٢٨ من شهر شعبان نبياً السلطان الاشرف العياض واخل به دار قصر لحضور الفقهاء والقضاة والوزراء ومن يتباد حضور مجله

(١) تاريخ البرهسي : مخطوط

تصنيع في شهر رمضان وكان الحاضرون مجله في شهر رمضان يتنازعون في  
بين الرطب والضب ايها افضل من صاحبه فحصل الاجماع بتفضيل الرطب  
في الضب وكان القائل بتفضيل الرطب على الضب فقهاء نهاية وأمرؤما وكان  
فيكون بتفضيل الضب على الرطب فقهاء الجبال وأمرؤما وقد استدل أهل الجبال  
أمرهم إلى العقبة صفى الدين أحمد بن موسى العمري وكان فقياً عارفاً مدققاً  
استدل أهل نهاية أمرهم إلى الفقيه شرف الدين إسماعيل بن أبي بكر القرى وكان  
يزيد ذكاء وكان حاضراً هذه الواقعة حاكم الفرع الشريف للقاضي صفي الدين  
مداخ بن محمد التاهري (١) .

إذن فالمصر كان فترة مناهضة علمية وأدبية فلا غرابة أن يازج ذلك  
نزع بين الفقهاء والصوفية كصورة متممة لواقع الجدل المباشر خلال تلك  
الرحلة الزاهرة من تاريخنا الثقافي في اليمن .

وقد أشار إلى ذلك النزاع كثير من المؤرخين إلا أنهم نادراً ما يلتزمون  
لسلس التاريخي لتطور الحادثة وهم غالباً ما يذهبون إليه عند ذكرهم  
لأعلام النزاع الذين خاضوا غماره . مكتفين في ذلك بالسرد الجرد الذي لا ينده  
تحدد زمن معين لذا فإن حياة أولئك الاعلام وتحديد سنواتهم التي عاشوها  
في الحيط الوحيد الذي يمكن بواسطته تتبع تطور النزاع من حيث هو  
أحداث مجردة أما مراجع أولئك فبالحقها باخر الحديث في فصل مستقل كافلت  
الفصل السابق (٢) .

(١) الخورجى : العقود الأولوية ج ٢ ص ٢٦٣

(٢) نتاجه وضعتنا تراجع مفصلة لأعلام النزاع في المرحلتين الأولى والثانية من تاريخ  
سلطنة الواديين إلى اليمن من الذين ساعدوا في النزاع إلا أن تاريخاً حقيقياً من هذه السلطنة  
بعض الكتاب على أنه قد ترجمه لاكثر اعلام النزاع من المذكورين في هذا الكتاب  
لأنه في تاريخ التراث اليمن في العصور الإسلامية . تحت الطبع

## المرحلة الأولى

وكان لنفوذ الروحي الذي حظى به الشيخ الصوفي إسماعيل بن إبراهيم الجبرتي أثر في إعلاء شأن الصوفية واستعادة مكانتهم في المجتمع اليمني خلال القرن الثامن وكان ذلك أولاً عن طريق تقربه للولاة من أحكام بني رسول الذين رجبوا به واحتضنوا تعاليمه الصوفية وكانت لهم أيادي في تفسيح الصوفية بإقامة المساجد والذكاء.

وقد استهدفت حركة الشيخ إسماعيل الجبرتي - بجانب استعادتها مكانة الصوفية - القضاء على المناوئين لفرقة من جمهور الفقهاء وأصحاب المذهب الذين مازالوا يرددون الإنكار عليهم ويصفونهم بالخروج عن العرف المؤلف للصوفية الأوائل بإقامة السماع في المساجد وتحويلها إلى أماكن رفض وغناء.

على أنه ليس بأيدينا قائمة بأسماء المسكرين وكل ما نعرفه هذه أسماء لا نخل مجموعهم الكل ولعل للرعي الأول منهم هم أولئك الذين أدركوا حياة الشيخ الجبرتي من سنة ٧٢٢ إلى سنة ٨٠٦ وهم :-

- ١ - ابن القليل الذي أضافه بذكره المزاجي ولم أجد من أشار إليه غيره وقد جاء في وصفه له بأنه (كان من الطلبة الجمل المقصرين) (١) وفي قوله بعض من التحامل لأن المزاجي كان معروفاً بميله إلى الصوفية.
- ٢ - أحمد بن إبراهيم بن علي الملقب المتوفى سنة ٨٠٦ وهو من العلماء الذين ردوا على الصوفية بعدة وقد ذكره الأمدل بأنه (كان لا يحاط في الله لومة لأن في أنكار ما ينكر من الشرع أنكر على الصوفية في زيد كان الرداء وإتياء ومم يرمئ أمل قبول تام عند السلطان فما بالي وربها هموا به بمكرهه فتجاه الله

(١) المزاجي : نهاية السالك (مخطوط) المزاجي : حياة السالك (مخطوط)

وكان ابن الرداء يخفوه بنوء الخاتمة فتأت الملقى على الحال المرضي بالانفاق على خلاف ابن الرداء فإنه كانت مع هناء (١).

والملقى قصيده في نحر ثلثمائة بيت رد بها على ابن الرداء في نقده عليه ومي في الإنكار على من يبيع السماع المعتاد عند الصوفية (ذكر فيها أدلة الكتاب والسنة على تحريم اجتماع آلات اللهو من الغناء والدف والغبابة واختلاط النساء بالرجال) (٢).

٣ - أحمد بن أبي بكر بن علي الناصري المتوفى سنة ٨١٥ وهو واحد الاعلام الرئيس في الزواج وله مع الصوفية صولات وجولات سذكرا فيما بعد.

٤ - أبو بكر بن محمد الخطاط المتوفى سنة ٨١٩. كان رئيس الفقهاء المتزعم الإنكار على الصوفية ويكفي أن نعلم أن (الفهرز أباذي) قد تصدى للرد عليه في رسالته (الانقباط بمعالجة ابن الخطاط) لتدرك أهمية هذا الرجل ولعله أول من أشهر الإنكار على الصوفية بطريقة أغاضت الصوفية وقد عاصر القضية من بدايتها.

وقد شارك هؤلاء الفقهاء في الإنكار على الصوفية جماعة أخرى من زملائهم وكان لهم دور لا يستهان به في القضية إلا أن كفاحهم الحقيقي تمثل في المراحل الأخيرة.

على أنه من الانصاف أن نقول أن الفقهاء ما كانوا يحبون التورط مع الصوفية في نزاع حاد وهم الذين كانوا يحسنون الظن بهم ويرون في سلوكهم الخلقى نموذج

(١) الأمدل : تحفة الزمن (مخطوط) والضوء اللامع ج ١٠ ص ١٩٢

(٢) الأمدل : المصدر السابق

يجب الاقتراف به وقد كان سلفهم يميل إلى الصوفية أكثر من ميله إلى علماء الكلام بل نجد ظاهرة حسن الظن بالصوفية تطفئ حتى هـ أولئك النفر من المنكرين الذين ناصبوا إتياع ابن عربى المداة أمثال محمد بن على الموزعى المتوفى ٨٢٥ هـ وكان يميل إلى الصوفية وهو الذى اختصر كتاب (روض الرياضين) اليافعى ومنهم إسماعيل بن أبى بكر بن المقرئ على الرغم مما شهر عنه من عداوة لإتياع ابن عربى فقد كان يردد الثناء على الصوفية المستقيمين منهم ويفرق بينهم فنفسم مثل قوله :

وخذ نهج سهل والجنيذ وصالح وقوم مضوا مثل النجوم الزواهر  
على الصرح كانوا ليس فيهم لوحده ولا لخلول الحق ذكر لذاكر  
رجال راوا ما دار دار إقامة لقصوم ولكن بلفنة للمسافر  
فاجبوا لياليهم صلاة ويبتوا بها خوف رب العرش صوم اليواكر  
أولئك أمل الله فالزم طريقهم وعد عن دواعى الابتداع الكوافر (١)

وحسب ابن الأمدى صاحب كتاب (كشف الغطاء) الذى رد به على الصوفية الفلاسفة فقد كان يبنى على الصوفية فى تاريخه العام ويذكر الكثير من كراماتهم وأحوالهم .

ومذا دليل سافرا على أن أولئك الفقهاء بما فيهم أولئك الذين تعرضوا للصوفية بالنقد - ما كان لهم النية والمعارضة لولا أنهم وقفوا أمام الأمر الواقع الذى لا يجب السكوت عنه بعد أن خرج الصوفية عن كثير من القوانين الشرعية التى يلج الفقهاء على إيجابها .

وبجانب هذا الأمر الرئيسى فقد دخلت الدولة بكل تقاطعها فى معجمة النزاع لتكون بعد ذلك داملا من العوامل الموجبة على أنه لم يكن دخولها فى القضية

(١) ابن القرئ : مجموع ابن القرئ ص ١٣ .

من باب حفظ الأمن والتوسط بين الفريقين . وإنما جانت لتجاوز إلى جانب الصوفية الذين رأوا وجودهم مرتكزاً شعبى يعتمد عليه وقد مر بنا فى فصل سابق كيف أن الميل إلى الصوفية قد توارثه ملوك بنى رسول أباه من جد .

فاليل الذى يمكنه الملك الأشرف إسماعيل بن عباس الرسول للصوفية مما لا يمكن إخفاؤه بأى حال من الأحوال وقد صرح بذلك أحد من حاصر النزاع وهو الصوفى محمد بن محمد المزجاجى الذى يقول ( أن الملك الأشرف كان معتقدا للشيخ إسماعيل الجبرقى وأصحابه الصوفية وبجبه غاية المحبة ) (١) ويؤيده فى هذا القول معاصرة ابن الأمدى الذى يرى فى ميل الملك الأشرف وولده التناصر إلى الصوفية محاباة تبعدهما عن عدل الملك يقول ( وكان السلطان الأشرف عم وفه التناصر بمجايان الصوفية ) (٢) ويربط هذه المحاباة بالتمسك بالفقهاء فبرى إنها سببا رئيسيا فى عدم جدوى إسماعيلهم فى مرحلته الأولى ( فلم يكسبوا يؤثر الإنكار ) .

وكان الملك الأشرف قد حاصر النزاع وهو فى مرحلته الأولى فكان ميله إلى الصوفية سببا فى أحداث الفرفة بين الفقهاء أنفسهم وانقسامهم بين مؤيد للصوفية ومنكر عليهم ولا شك أن الفقهاء ما كان أغلبهم يميل إلى الصوفية لولا أنهم وجدوا السلطة تنحاز إليهم فاتبعهم بحكم التقرب إلى السلطان والجماعة . وقد أنصح عن هذا الموقف ابن المقرئ فى حديثه عن ميل الفيروز آبادى إلى الصوفية بقوله ( أنه لما جاء إلى اليمن والموكة للصوفية ساعدتهم ووافقهم على ما يريدون ) (٣) وكان إنحياز الفيروز آبادى إلى الصوفية طعنة قوية فى ظهور الفقهاء الذين كانوا يرون أنه فى صفهم لتسكبه من علم الفقه وسائر العلوم الدينية

(١) المزجاجى : حداة السالك (مخطوط) .

(٢) الأمدى : كشف الغطاء ص ٢١٧ .

(٣) المزجاجى : المصدر السابق .



والآدبية وما كان أحد منهم يظن أنه سيوافق الصوفية على أفكارهم ويشي على ابن عربي في رده على الفقيه ابن الحياط . وهذا ضعف في شخصية الفيروز اباذي له ابن حجر وحاول تشخيصه بقوله ( ولم أكن انهم الشيخ بمقتله ابن عربي إلا أنه كان يجب للدائرة ) (١) .

وسنظهر من شاذلة الفيروز اباذي كثير من الفقهاء يخذلون أصحابهم وهم في شدة النزاع حتى ان الصوفية يحملون من الاختلاف بين الفقهاء حجة لصالحهم يهرونها في وجوه اعدائهم ونجدهم يحملون من مكانة المؤيدين لهم من الفقهاء بل نهد المزاجي يحمل من سكوت بعض الفقهاء عن التعرض للصوفية دليلا على موافقتهم لهم كما هو الحال عند محمد بن عبد الله الريمي ( المتوفى سنة ٧٩٢ هـ ) الذي لم يؤثر منه إنكار على الصوفية وكذلك لم يؤثر عن غيره من كبار الفقهاء عصره أمثال إبراهيم العلوي وابنه سليمان وعبد الطيف الشرجي ومحمد بن سعيد بن كين وأحمد الدوالي وأبي بكر الرداد وعلى الناشري ومولاهم الذين ذكروا المزاجي عنجا بسكونهم وبناء على ذلك موافقتهم للصوفية إلا أن هذا ليس دليلا شافيا إذ كان بإمكان الفقهاء أن يحملوا من هذا السكوت حجة في صالحهم كأهل خصومهم .

والقول الفصل في هذا الباب هو أن سكوت الفقهاء كان تقيها ومسيرة لسياسة الدولة إذ كان البعض منهم يشرف على مصالح كبيرة كما هو الحال عند محمد بن عبد الله الريمي الذي كان يتولى قضاء اليمن العام .

ومع ذلك نجد الدولة لا تتكبد جانب الفقهاء نهائيا وتحاول أن تسلفهم في كثير من القضايا المتعلقة بالصوفية على اعتبار أنهم الممثلون للشرعية وقد كان هذا في حقيقته عمل شكلي حتى لا يقال ان الدولة قد ركبت هواها في مسألة

(١) ابن حجر العسقلاني : إنباء الفرج ٣ ص ٤٩

الصوفية فقد حدث ( أن الملك الاشراف لما علم من بعض الفقهاء إنكارهم لسمع الصوفية كتب إلى قاضي القضاء شمس الدين بن صقر سؤالا يسأله من حكم السماع فكان جواب القاضي أن وضع مصنفا حسنا في إباحة السماع وجوازها (١) وهذا القاضي كان من نفس النمط السابق الذي يتماشى مع سياسة الدولة حسب ظروفها وهو أحد كبار الموظفين الرسميين فقد تولى القضاء العام في اليمن وسنجد له ترجمة عند يامخرمة الذي يقول ( هو شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن صقر النساني عايش بالثام ثم حج وجاور بمكة فاخذ بها من جمع من العلماء وعندما حج المجاهد حجة الأولى سنة ٧٤٢ هـ ورجع إلى اليمن دخل ابن صقر المذكور اليمن بصحبته فافضل عليه المجاهد ثم ولاه القضاء الأكبر في جميع قطر اليمن فلم يزل مستمرا على ذلك إلى أن توفى المجاهد فلما تولى ابنه الأفضل زاد في رزقه ولم يزل مستمرا على القضاء حتى عصر الاشراف ثم توفى في آخر شوال سنة ١٨٥ هـ ) (٢) .

ومكذا فإن الدولة بعد أن قربت إليها كثير من الفقهاء وجعلتهم في المراكز القضائية الهامة كان على أولئك الفقهاء متابعة رومائها في سياساتهم العامة والخاصة حتى كانت هذه المتابعة سمة خاصة بالفقهاء في ذلك الوقت وقت وقد رأينا أحد الذين استكروا عليهم هذا المسلك يصفهم ( بالحاياء والمداهنة في دين الله .. وهذا غالب على فقهاء الوقت ) (٣) بل نسمع أشد من هذا القول في نقد موقف بعض الفقهاء تجاه النزاع بين الفقهاء والصوفية كما سيتضح لنا فيما بعد وقد كانت أكثر منظومات ابن المقرئ في العيب على سلوك جماعة الذين التزموا الصمت وتركوه وحده في الميدان بمقارع الصوفية ومن ورائهم السلطة .

(١) للزجاجي الصدر السابق ( مخطوط ) .

(٢) يامخرمة : تاريخ قمر عدن ص ١٩٩

(٣) الأمليل : كشف الظلم ص ٢١٧

وبالجملة فاد التناقض في موقف الفقهاء مما لا شك فيه وكان هذا أحد العوامل التي ساعدت على انتصار الصوفية على خصومهم في مرحلة النزاع الأول والثانية ونجد عند أبي القري تصوير لذلك الموقف في مقطع شعري (يقول فيه على لسان فومه من الفقهاء) :-

فقام لهم من رجالهم فيه على الحق استقامه  
فاما الصالحون فما نكروا ولا قالوا نخاف من الملامه  
واثروا بالذي طمروا وخافوا وهذا نال من رضى اكتامه  
واما همهم فرضى امورا واثروا على بصوم القيامه  
وقال الشيخ أحد لى صديق وكل منه يفرط بالسلامه  
نظك الله عند سواك أولى وأجدر من صدقك بالكرامة (١)

والشيخ أحد المشار إليه هنا هو أحد الرداد وكان يتولى القضاء أثناء نظم ابن القري شعره وهكذا يعض الفقهاء المنكرون في نصيهم على زملائهم عمن للناسره لهم .

ولم يبق من الفقهاء المعارضين للصوفية سوى قلة تكاد تعد بالأصابع وقد نراسهم في المرحلة الأولى الشيخ أحمد بن أبي بكر الناشري وهو نموذج للرجل الصلب الثراس الذي تكون صلابته سببا في إذيته واسباغ اللوم عليه من قبل الناس ويذكر من ترجم له أنه تولى قضاء زبيد فكان يخلع منه من حين لآخر قس سنة ٧٨٦ ول القضاء فخلع في سنة ٧٩٠ ثم أعيد في نفس السنة ثم انفصل في سنة ٧٩١ ثم أعيد سنة ٧٩٣ ثم خلع وهكذا حتى أن السخاوى وهو يكرر هذه التولييات والعزل يستشهد بالقول المأثور (ما ترك لى الحق من صديق) (٢)

(١) ابن القري : مجموع ابن القري ص ٢٣

(٢) السخاوى : الضوء اللامع ج ١ ص ٢٥٧

ولعل سر هذا يعود إلى حده في مزاج الرجل وعدم ملائمة الناس وهذه من السمة العامة لكل أعلام النزاع من الفقهاء وقد أدرك خصومهم هذه البه فحاولوا تهريبهم والعيب عليهم من خلالها وأنت تلاحظ ذلك في قول المرجاجى مخاطبا ابن القري يقول (يا أخى حفظك الله الغضب والعصا والمنافسة في بعض الأمور تفعل بالمقابل مثل هذا أو ترمى بصاحبها إلى هذا الحد) (٣) وكأنه بهذا القول يعرض بحجة امروجة خصومة من الفقهاء .

ونخرج من هذا كله إلى أن النزاع بين الفقهاء والصوفية قد ساعد في إيجابه هذه عوامل محلية ونفسية حتى إذا حان الحين رأينا هذه العوامل تبدو جلية واضحة في صورة ذلك التصادم الذى نحن بصدده وقد كان للصوفية صولة كبرى عند السلاطين الرسولين وليس من السهل التغلب عليهم إلا عن طريق التأثير على حلفائهم الأقرباء آل رسول وهذا مما يصعب حيث كان ملوكهم يعتقدون الصوفية وقد مر بنا كيف أن الملك الأشرف كان يحسن الظن بالشيخ إسماعيل الجبرنى وجماعته ومن بعده ابنه الملك الناصر أحمد بن الأشرف إسماعيل الرسول الذى امتد حكمه من سنة ٨٠٣ إلى سنة ٨٢٧ وعاصر القضية وهى فى حنفوانها فلم يدخل فى النزاع إلا كزبد الصوفية وقد تمثل ذلك فى أكثر من موقف للملك الناصر لعل أولها ذلك السؤال الذى طرحه أمام الفقهاء بشأن إتباع ابن عربى وكان من الأسباب الرئيسية التى أثارَت القضية من جديد واحداثى هو بين فريق الفقهاء أنفسهم حيث امتت جواباتهم على السؤال مختلفة بين مؤيد للصوفية ومعارض لهم .

أما نص السؤال فقد أورده القارى وهو كما يلي :-

(ما تقول السادة العلماء شداقه بهم أزر الدين ولم بهم شمت المسلمين فى

(١) للزجاجى : هداية الملك مخطوط .

الشيخ محي الدين بن العربي رضى الله عنه وفي كتبه المنسوبة كالفقوسات  
والقصود وغير ذلك فهل يجوز قراءتها وأقراؤها وهل هي من الكتب المسعورة  
القرية أم لا فتونا ما جرد بين جوابا شافيا فيها لتحرزوا جزيل الثواب من  
الله الكريم الرحاب (١).

فأجاب على هذا السؤال محمد الدين الفيروز أباذى الذى كان الملك الأشرف  
قد خصه بهذا السؤال وحده من دون بقية الفقهاء .

ومن منا يدون أن الملك الناصر لم يستفتى الفيروز أباذى إلا لعلمه المسبق  
أن جوابه سيكون لصالح الصوفية حيث كان الفيروز أباذى يهذب تعاليمهم  
ويحسن الظن بهم ومع ذلك فقد أتت الجوابات من أكثر من جهة وكان من بين  
الجبين لفتية ابن الحياط الذى عرف ببداهة الشهيد للصوفية فكان مطلع جوابه  
(لأن ابن الحياط أن لا يأخذه في الله لومه لأتم لا يجوز ولا يحمل تحصيل  
كتب الشيخ ابن عربى لأقراءتها ولا أقراؤها فانها مردودة على مصنفها) (٢) وهكذا  
كان جواب ابن الحياط مانعاً لما ذهب إليه الفيروز أباذى فكان من المحتم  
أن يرد عليه بقصد الدفاع عن نفسه ومن بين ردوده الكثيرة الرد المشار إليه آنفاً  
بشأن (الاعتباط لمعالجة ابن الحياط) على أنه أحد ردود ثلاثة أوردتها  
المواجى في كتابه ومن بين الذين تصدوا الرد على ابن الحياط ومناصرة الشيخ  
محمد الدين الفيروز أباذى قادم آخر هو الشيخ محمد بن علي الشيبى زد على  
ذلك أن كتاب (الرد الثمين في مناقب الشيخ محي الدين) ما وضع إلا بقصد  
الرد على ابن الحياط وذلك بإشارة من أحد رؤسا الصوفية في ذلك الوقت (٣)

(١) القارى : مناقب ابن عربى ٦٤ .

(٢) المصدر السابق ٦٨ ويوضح من كلام القارى أن الملك الناصر خصه بمؤال مستقل  
لأنه يميلون لفتية الكتب المنسوبة إلى ابن عربى . الخ . . . . .

(٣) يقول القارى في مقدمة كتابه (وبعد فهذه رسالة اسميتها (الرد الثمين) وارسلتها =

ومؤلفه هو الشيخ المرشد إبراهيم القارى وهو أحد القادمين الذين أتوا إلى اليمن  
خلال معمة النزاع . وهكذا يتضح لنا أن الواقدون قد لعبوا دوراً هاماً في  
مسئلة النزاع وكانت مشاركتهم الفعلية بالدفاع عن الصوفية في وجوه خصومهم  
من الفقهاء عاملاً في ميل الصوفية إليهم وتقريبهم اليهم وقد اجتمع عند الشيخ  
الجبرتي جمع كبير منهم من مختلف الأنظار وأغلبهم من بلاد فارس الذين  
كانوا يميلون في اعتقادهم (إلى العلوم العقلية من غير معرفة بصحيح العقائد  
وفاسد ما) (١) وكان من أبرز هؤلاء الشيخ عبد الكريم إبراهيم الجبلى الذى  
توفى في زبيد نحو سنة ٨٢٦ هـ ومحمد بن محمود الكرمانى الذى كان قدومه في  
وقت متأخر من حياة الشيخ إسماعيل الجبرتي وقد قام بدور فعال في القضية حتى  
أن معاداة العقهاء للصوفية قد تركزت في شخص هذا الرجل بما عرف به من  
جراه حفرت عليه خصومه .

وعلى العموم فقد تضافرت هناك عدة عوامل على نصرة الصوفية وكانت  
سبباً في إسباغ الهزيمة على خصومهم الفقهاء فنعرض شيخهم أحمد بن أبى بكر  
الناشرى لعدة مضائق (حتى أنهم سعوا به إلى السلطان بكل ممكن من منعه  
من الفتوى وإخراجه من زبيد وإعدام صورته بالكلية فحماء الله من شرهم) (٢) .  
وهذه هي الحالة العامة التى وصل إليها الفقهاء في مرحلتهم الأولى من  
النزاع مع الصوفية وهي حالة يأس وعناء لا يكاد يسلم منها فقية ينكر على الصوفية  
شيئاً من تعاليمهم .

= لدى الصنو العزيز المرشد الشيخ عهاب الحق والدين أحمد بن الزهاد الصوفى اليمنى يخبره قد  
الله لشيخ أحمد الزهاد . . . . .

(١) الاحمد : تحفة الزمن (مخطوط) .

(٢) الاحمد : كشف الظلمة ص ٢٢٠ .

ثم جاءت المرحلة الثانية من النزاع اترسخ سيطرة الصوفية التامة على الموقف بتولي شيخهم الفقيه أحمد بن أبي بكر الرداد زمام القضاء العام ومسو أعظم للقضاء الحكومية بعد مرية الأمانة . وقد ظل هذا المنصب شاغرا مدة طويلة بعد وفاة محمد الدين القيروز أباندى لم يخله أحد من الفقهاء حتى سنة ٨٢٠ هـ وكان لذلك الناصر بنوى توليت أحد مشاهير العالم الإسلامى وقد ذكر العلامة ابن حجر الملقب أن الملك الناصر كان يزمع إعطائه القضاء العام وهو لا يزال في مصر ( وقد تركه شاهراً مدة متظراً قدومه )<sup>(١)</sup> ولما لم يحضر<sup>(٢)</sup> رأى أن يتول القضاء أحد علماء اليمن وكان يشوق إليه جمع غفير من الفقهاء وعلى رأسهم الفقيه إسماعيل بن أبي بكر المقرئ<sup>(٣)</sup> الذى كان يرشحه لهذا المنصب أكثر علماء زمانه لشدة إيمانه من معرفة علم الفقه وتأليفه فيه إلا أن الصوفية راوا في تولية ابن المقرئ زمام القضاء خطراً يهددوم ( وخشى بعضهم أن يتمكن ابن المقرئ من الإنكار عليهم )<sup>(٤)</sup> فما كان منهم إلا أن أسروها بطلب القضاء من الملك الناصر الفقيه أحمد بن أبي بكر الرداد وكان هذا من ذوى الحظوة عند الناصر

(١) ابن حجر أبيه الفرج ج ٣ ص ١٧٨

(٢) وصل ابن حجر الملقب إلى اليمن قبل هذا التاريخ مرتين الأولى سنة ٨٠٠ هـ والثانية سنة ٨٠٦ هـ انظر مقالنا ( العلماء القادمون إلى اليمن في العصر الرسولى ) مجلة اليمن الجيد المرمم سنة ١٣٩٤ ص ٣٩ .

(٣) كان ابن المقرئ يطمح ل تول القضاء ويغال أن الملك الأشرف حينه للمخافة من مصر ( فأخبر ذلك لطمع في الأسطى لى قضاء الأقضية فلم يتم له وكان يرجو قضاء الأقضية في حياة السيد القيروز أباندى وحصل عليه ) ( البدر الطالع ج ١ ص ١٤٢ )

(٤) أباندى

حيث ( كان يحالسه في خلواته وبرافقة على غيواته )<sup>(١)</sup> بل أن الملك الناصر تزوج ابنته بعد ذلك<sup>(٢)</sup> فأجابهم إلى ذلك . وحول مسألة تولي ابن الرداد القضاء رسمية فيه تقف عند قوانين متعارضين الأول يرى أن ابن الرداد ( لم يسم إلى ولا تحيل لاستحصاه ولا خطر فيه ولا تشوق له )<sup>(٣)</sup> ولم يقبله إلا بعد تمنع شديد وقد ( وقف الملك الناصر يدعو له إليه ويحضه عليه وهو يتندر ويستغنى فلا يعذره من ذلك )<sup>(٤)</sup> أما القول الثانى فيذهب إلى أن ابن الرداد كان ممن سعى إليه ( وبأدر إلى طلبه من الناصر )<sup>(٥)</sup> وعلى كل فقد ارتضاء الملك الناصر فكان بهذا العمل قد أثار حفيظة الفقهاء الذين أخذوا يلومون الملك الناصر في سلوكه ويتمونه ( بهرب الخمر )<sup>(٦)</sup> وعدم المعرفة بحقيقة العلماء<sup>(٧)</sup> وقد اتفقوا جميعاً على أن ابن الرداد غير صالح لتولى هذا المنصب الهام فقد كان ( مزجى البضاعة في الفقه عديم الخبرة بالحكم )<sup>(٨)</sup> أما ابن الإهدل فيرى أنه ( ضعيف الأهلية لقلة العفة وعدم مراعاة وظيفة العلماء من التزه .. من سماع

(١) ابن حجر أبيه الفرج ج ٣ ص

(٢) المصدر السابق .

(٣) البريبي : تاريخ البريبي ( مخطوط )

(٤) للزجاجى هداية السالك ( مخطوط )

(٥) — (٦) أبيه الفرج ج ٣ ص ١٧٨

(٧) من ذلك قول ابن المقرئ ( مرضا بملك الناصر في عدم تفرقة بين شيخ الصوف وشيخ الفقه يقول :

انصب شيخ للتناوى فيكم كما الفيج منكم للصوف ينصب ( يقول ابن المقرئ ٤٩ ) .

(٨) ابن حجر أبيه الفرج ج ٣ ص ١٧٨

اللامى المكروه والمحرمة<sup>(١)</sup> وكذلك ابن المقرئ فقد سخر من تولى ابن الرداد اقتضاه وحاول التعريض به في مبه إلى الرقص يقول : —

قل فاضى القضاء بملك العصر : جميعا ونورعين الزمان<sup>(٢)</sup>  
ولون الرقص بالقضاء وغيره أوجع المنصبين في الميزان الخ..

على ان قضاء ابن الرداد ليس كله سيأت كما يصفه خصومه فهناك بعض الحسنات التي ادخلها على قضائه (كمنه في استخراج الوقف الذي قد كانت الملوك قد ادخلته في دقائهم وصرفه مصرفه ورفع (الوفر) الذي كان يقتضيه الملوك من الوقف<sup>(٣)</sup>) أما قاعدته في ممارسة القضاء فقد أشار إليها معاصره المزجاجي بقوله (إذا جاءته الخصومات بصرفها إلى نوابه قضاء الفرع المدة لسماح الدعوى والإثبات وفي بعض القضايا يأتي القاضي إلى مجلسه لتنفيذ الحكم عنده تورها منه أن يباشر الحكم بنفسه<sup>(٤)</sup>) :

ومكذا يدرا لنا ان الرداد كان عنده أهلية لتولى هذا المنصب الكبير وليس الأمر كما ذهب إليه خصومه إلا أنه قد اشتغل في حق اعدائه ولم يراعى معهم الاضاف الذي يتطلبه منصبه حتى أصبح تولى القضاء من أكبر المحن التي قاسى منها الفقهاء وقبل الدخول في تفاصيل أعماله الانتقامية ضدهم نحب ان نشير إلى أن المقاومة من قبل الفقهاء ظلت مستمرة بعد وفاة رئيسهم أحمد بن أبي بكر القاسري ولم يرهيم مكانة الصوفية التي وصلوا إليها في عهد شيخهم ابن الرداد وكان من اعلامهم في هذه الفترة ثلاثة أشخاص تزهوا الحركة ضد الصوفية وهم :

(١) ابن الأعمش : كشف الظلمة ص ٢١٧

(٢) ابن المقرئ : مجموع ابن المقرئ ص ٢٤

(٣) البرهسي : تاريخ البرهسي (مخطوط) .

(٤) المزجاجي : نهاية السالك (مخطوط) .

١ — محمد بن علي بن نور الدين الموزعي المتوفى ٨٢٥ .

٢ — إسماعيل بن أبي بكر ابن المقرئ المتوفى ٨٣٧ .

٣ — كمال الدين موسى بن محمد الضجاعي<sup>(١)</sup> المتوفى سنة ٨٥١ .

فأولاهم وهو الشيخ الموزعي كان على جانب كبير من المعرفة لأسرار نخلة ابن عربي وقد قام بنفسه بدراسة كتبه والرد عليها في مؤلف له

ويقول ابن الأمدل أنه أول الفقهاء الذين باثروا قراءة كتب ابن عربي والرد عليها من نصوصها المستقاة منها . وقد مكنته معرفته من مناظرة أصحاب هذه النحلة فقد ذكر ابن الأمدل أنه ناظر الشيخ محمد بن محمود الكرماني — أحد اتباع ابن عربي في اليمن — إلا أن المناظرة لم تكن (بمحضرة من يبر الحق) ويقضى به بل بمحضرة من هو يصدد المحاماة والمدافعة في دين الله وعدم التحقيق لاصول الدين وأقول الزائفين<sup>(٢)</sup> وهكذا فإن الموزعي لم يتم له التخلب على خصمه لوجود فئة كانت تناصر الكرماني وأغلب الظن أن هذه المناظرة حدثت في عهد تولى ابن الرداد القضاء على أن ابن الرداد نفسه كانت له جولة مع الموزعي في المناظرات وقد استدعاه من قريته إلى مدينة زيد (فلما وصل اجتمع مع جماعة من الفقهاء والصوفية في مجلس حافل وطالب ابن الرداد مناظرته فأبان الموزعي حجته بطلان كلام ابن عربي في كنه<sup>(٣)</sup>) ويبدو أن النخلة هذه المرة كانت للموزعي حتى أن الصوفية (ممت بالفتك به فقام لنصرته الأمير محمد بن زياد

(١) هو موسى بن محمد الضجاعي كان من كبار فقهاء عصره تولى التدريس بجملة زيد وانتهت إليه رئاسة الفقه والحديث له من المؤلفات (غاية الأمل في فضل العلم والسل) وكتب (الأقوال الواضحة الصريحة) ١٢٢ السابق ذكره .

(٢) الأمدل : كشف الظلمة ص ٢٢١ .

(٣) البرهسي : تاريخ البرهسي (مخطوط) .

فخلصه منهم (١) وهكذا لما الصوفية إلى القوة في حين كان عليهم مقارعة الحجة بالحجة ، وما تعرض له المزعى من قبل الصوفية ليس إلا بداية الحق والتكليف بالفتاء في عهد ابن الرداد الذي يتعرض له فيما بعد .

أما الشخصية الثانية فهي شخصية ابن المقرئ وهو العلم الأكبر في قضية النزاع حتى كاد أن يغفل أحداها بفردته دون الاعتماد على غيره وسنجد اسمه يبرز واضحا خلال للرحلتين الثانية والثالثة من النزاع في حين لا نكاد نجد له ذكرا في أحداث المرحلة الأولى وهذا الأمر سيدفعنا إلى التساؤل عن سر تباطل ابن المقرئ في مناصرة الفقهاء وقد كان في ذلك الوقت في سن تأمله للمشاركة في القضية حيث كان قد تجاوز الحاشية والمشرية هنا نجد حقيقة الخبر عند بعض المؤرخين الذين اهتموا بالكتابة منه فقد أشار إلى هذا التباطل صراحة مناصرة المؤرخ ابن الأمدل بقوله (بعد موت الناصري قام بالإنكار القاضي شرف الدين إسماعيل ابن أبي بكر المقرئ ولم يكن قبل ذلك يعرض لشيء من ذلك) (٢) أي أن ابن المقرئ لم يكن من المتكبرين على الصوفية في حياة الناصري وقد كشف لنا عن هذا الجانب المجهول من حياة ابن المقرئ مناصرة للمزجاجي الذي وقف بنفسه على منطوق من كتاب (الوصايا) (٣) لابن عربي مع تقولات مختلفة من كتاب (كنه مالا بد منه) (٤) لابن عربي أيضا بقلم ابن المقرئ بما يوحى بأن ابن المقرئ كان يستحسن شيئا من تعاليم ابن عربي بل أنه قد اتناه عليه بكلام حسن في أول المصروع نستمع للمزجاجي وهو يخاطب ابن المقرئ مذكرا له بهذه

(١) المصدر السابق (مخطوط).

(٢) الأمدل : المصدر السابق ص ٢١٧ .

(٣) كتاب الوصايا يوجد ظاهريا بأخر كتاب الفتوحات المسكية لابن عربي انظر مثلا طبعة سنة ١٣٢٩ ع ٤٤٤ ص ٤٤٤ .

سنة ١٣٢٩ ع ٤٤٤ ص ٤٤٤ .

القضية بقول (وقد وقفت لك بما أخى هل جمع (مجموع) كنبه بخطك مختصرا فيه كتاب (الوصايا) للشيوخ عيسى بن عربي ذكرت في أول شيئا من كتاب (كنه مالا بد منه) للشيوخ عيسى الدين بن عربي لوقوعه عندك موقعا حسنا فذلك أنييت عليه في أول الترجمة فقلت (الشيخ الإمام العارف باقه عيسى الدين بن محمد بن عربي نفع الله به) هكذا هو عندى بخطك والجمع المذكور (١) ومن هذه الحجة التي اشتهر بها المزجاجي في وجه ابن المقرئ يتضح لنا جليا أن ابن المقرئ قد تأخر عن نصرة الفقهاء في مرحلتهم الأولى حتى كان هذا التأخر سببا في منافرة جماعة له من آل الناصري الذين أنكروا عليه عدم مناصرته لتقريب الشيخ أحمد الناصري وسنجد ابن المقرئ أمام هذا الإتهام قد برر موقفه بعذر مقبول وهو أنه لم يكن له علم فلسفة بن عربي الصوفية وعلى الأخص تلك التي بنها في كتابه (الفصوص) وذلك أثناء مصارعة الناصري للصوفية بقول :

قالوا تصيب آل الناصري على تخلفي عن أخيم غاية العجب وقيل لم أناصره غداث لقي في القول بالحق مالاقي من النصب والمصدر إلى لم اخر بعدته على الفصوص وهذا الكفر والكذب (٢) والمهم فائقا نريد أن نخرج من هذا كله إلى بداية نجددما شأن ابن المقرئ في الإنكار على الصوفية وأغلب الظن أنها كانت بعد تولي ابن الرداد القضاء العام فقد أثار فيه استنثاره ابن الرداد بمنصب القضاء روح الإنكار على الصوفية ومن سار سيرهم حتى كان هذا عاملا على التفتيش على مساوئهم والبحث عن فضائهم الخلقية والدينية إذ ليس من السهل على ابن المقرئ أن يترك خصمه يتم هذا المنصب الكبير وهو الذي طالما صحن في الحصول عليه .

(١) المزجاجي : المصدر السابق

(٢) ابن المقرئ : مجموع خبره ص ٩ .

ومن هنا أثر ضغط ابن المقرئ على الصوفية في شخص ابن الرداد ثم أصبح بعد ذلك عقيدة راسخة عنده يدها إليها عن بعض الإيثار والنية الخاصة وقد اكتشف هذه الناحية أحد أنصار ابن الرداد فذهب إلى أن إنكار ابن المقرئ على الصوفية لم يكن إلا بقصد الاساءة لشخص ابن الرداد يقول المزجاجي مخاطباً المقرئ (١) (وكنك ما قصدت بالاطباب في الطعن في ابن عري إلا توصلاً لإبلام الشيخ شهاب الدين أحمد بن أبي بكر الرداد والقدح فيه والطعن في الطائفة الصوفية وذلك لما نافست من لا يقصد منافستك ولا منافسة غيرك) ولعل المنافسة التي بينها المزجاجي كانت حول مسألة تولد القضاء العام ولا أظن أن الشيخ ابن الرداد قد تولد القضاء بقصد الإغاضة لابن المقرئ ومنافسته وإنما كان ذلك منه خشية من أن يتولى هذا المنصب العام رجل ليس له إلتزام يذكر بالصوفية ويبدو أن الفترة الطويلة التي أعقبت وفاة الفيروز أبادي وجعل القضاء العام شاغراً كانت قد أبايت ابن المقرئ كشخص معارض للصوفية وإلا لما كان ابن الرداد قد سعى في القضاء بقصد إزاحة ابن المقرئ عنه .

وعلى كل فإن بداية معارضة ابن المقرئ للصوفية مسألة تحتاج إلى نصوص صريحة تبين زمنها التاريخي وبالرغم من أن جامع ديوانه قد أشار إلى أول قصيدة قالها في الرد على الصوفية (٢) إلا أنه أغفل تاريخها وبذلك يكون قد أضاع علينا آخر دليل معاصر يمكن أن نقسب به حول بداية ابن المقرئ مع الصوفية ولم يبق أمامنا سوى أن نحمل من معارضة ابن المقرئ لابن الرداد بداية لإنكاره على الصوفية عموماً وقد بدأت أولاً على شكل مقطعات شعرية كان يقولها في ذم

(١) المزجاجي : المصدر السابق (مخطوط) .

(٢) ابن المقرئ مجموع شعره ص ٤ وهذه القصيدة مطلوبة :

برغم سنة خير النجم والغرب أصبحت ساجداً للهو والعب

الصوفية ثم طورت إلى أن أصبحت مشاركة فعلية مع رجال الزواجر الذين ما مضوا الصوفية وقد كان ابن المقرئ قد شن حرباً على الصوفية أثناء تولد ابن الرداد القضاء العام كما رأينا ذلك في أكثر من حادثة تاريخية أشار إليها المؤرخون ويقول ابن الأهدل أن ابن المقرئ قبل أن يتصدى الرد على الصوفية استأذن في ذلك السلطان الناصر فوعده السلطان بالقيام في نصرة الحق إن أجمع القضاء على إنكار أفكار الصوفية الفاطمية ووعده بأنلاف تلك الكتب (٣) وقد كان هذا الموقف من قبل السلطان الناصر بداية حسنة بالنسبة لابن المقرئ وشجعه على مواصلة السهر في منامضة الصوفية لجمع كرامة كبيرة فيها كل الأقوال التي خرج بها الصوفية عن قاعدة العربية ثم مرطها على الفقهاء (فافتى بتكفيرهم أكثر فقهاء الوقت بناء على ما جمعه ابن المقرئ) (٤) ويطلق ابن الأهدل على موقف بعض الفقهاء خلال سعي ابن المقرئ في جمع الفتاوى بشأن الصوفية أن (بعضهم أطلق التكفير وبعضهم أطلق بصحة ذلك وبعضهم أحجم عن الجواب مراعاة لابن الرداد إذ كان ذلك في حياته) (٥) وهكذا فإن ابن المقرئ استطاع أن يجمع نصوصاً كثيرة من فتاوى العلماء بلغت ثلاثين فتوى من ثلاثين عالماً كما يتبين لنا ذلك من شعر ابن المقرئ :

فهذا كتاب الله بيني وبينكم يقرئ عيسى المكابر  
وهذا خطوط الانقياء ذوى الهدى وأهل العلوم الثمرات الزواهر  
ثلاثين جبراً كلهم عند ربهم مكين أمين غير خب مقام (٦)

(١) ابن الأهدل : كشف النطاء ص ٢١٧

(٢) ابن الأهدل : المصدر السابق ص ٢١٦ وتحفة الزمن (مخطوط) .

(٣) ابن الأهدل : تحفة الزمن مخطوط .

(٤) ابن المقرئ مجموع شعره ص ١٨

وكان هذا التحرك الشيطاني من قبل ابن المقرئ دافعا قويا لقيام ابن الرداد بمواجهته والرد عليه في «وثاب مستقل له كتابه المسمى (الشهاب الناقب في الرد على بعض أول المناصب) وكان ذلك منه بقصد إحباط سمعاه عند الملك الناصر وقد احتفظ لنا ابن المقرئ بشيء مما كان يرد عليه خصمه في كتابة المذكور من ذلك قول ابن الرداد أن ابن المقرئ في قده الصوفية ليس إلا مغتابا فيجب عليه صاحبنا :

هل الأمر بالمعروف عندك غيبة وهل سب عرضا من نهي عن مناكر (١) وينفي ابن المقرئ عن نفي الدعوى بتكفير ابن الرداد التي يمتعه بها فيقول : ففى أى بيت قلت أنك كافر وما كان هذا القول منى بصادق (٢) وفي نهاية الأمر يخبر ابن المقرئ من تأليف خصمه في الرد عليه ويقول له (ملا استشرت أحدا من الناس عند تأليفه) .

فلا استشرت الناس عند كتابه . فإكت يخطو من نصيح مشاور ولواعطى المطى كتابك رشده طواه على غرامه والمكاسر واغفاه لكن ما لخطى بعورة إذا كشف البارى غطاءه بسائر (٣)

وسجد ابن المقرئ يذكر خصمه بكثير من المواقف التي وقف فيها معارضا له بقصد المعارضة لا غير كخذلانه عند السلطان بشأن مساعدة مسلمي الحبشة وملكهم المحاصر من قبل أعدائه الكفار :

أذكر إذ شمرت ذيلك ناهضا لخللان سعد الدين يوم التناصر وقد جاء علم أن كفار قطره غشوه وقد اضحى ببعض الجوائر

(١) المصدر السابق ص ١٦ .

(٢) المصدر السابق ص ١٦ .

(٣) المصدر السابق ص ١٦ .

فناديت يا المسلمين رجالكم فدعيت راني بل تقضت مرارتي  
ولازعتنى عند المليك معارضا لما جاء في دفع العدو من أوامري  
واقفيت أن ليس الجهاد بواجب علينا وقد مالاك بعض الحواضر  
فاستقطعت أئمانا من رجال غررتهم وبؤت به مثل الرواسى الصماخري  
فلو قدرت من بابك لك غيبة لفرج بالفارقات كرب الماخر  
وطبق ظهر البحر جيفنا إليهم نظير باقلاخ الجوارى الماخر  
حشرت لأجال حشرون ولو بقى لهم أجل ما كنت فيها بمخاضى  
وظلكت سيوف الكافرين تتوشهم وتطممهم غرنا الطيور الطوارى  
واكبانا مصلى بنار من الآسى وأنت بنا تهزأ قربن التواظر  
تعيهم من إناى قلت خطبة أحاول نصر الدين من غير ناصر  
وما بى يستهزئ بى ولكن برينا فافرحه عنى ولا من أوامري (١)

إلى آخر هذه الآيات التي تشرح قضية تاريخية أغفلها المؤرخون من أهل اليمن (٢) وتتلخص في أن ملك الحبشة المسلم سعد الدين (٣) حوضر من قبل الكفار فطلب من الملك الناصر مساعدته بالسلاح والجنود وقد أبدته في طلبه هذا ابن

(١) المصدر السابق ص ١٧ .

(٢) كل ما طفرت به حول هذه الحادثة التاريخية هو قول المؤرخ يحيى بن الحنين في حوادث سنة ٨٢٥ هـ أى بعد طلب ملك الحبشة المساعدة بـ ٤٠٠٠ رجل (فيها قدم ولد سعد الدين المجاهد من الحبشة إلى بندر البصرة منتهز من المشركين ثم دخل مدينة زيد فنهض إليهما السلطان من قم وأكرمهما وجيزهما بمائتي فرس وما يتبعها .

(٣) هو جمال الدين محمد بن سعد الدين قتل سنة ٨٣٥ هـ (أنظر ترجمة في أبناء النصر



المقرى وحرض الناس بالخطب بقصد التطوع والجهاد إلا أن ابن الرداد وقف له معارضا محتجا ذلك بأن الجهاد غير واجب على المسلمين في تلك الأعمار إلى أن كانت السائرة على المسلمين وهزم الملك سعد الدين نتيجة لموقف ابن الرداد الجارح ومن منا رأينا ابن المقرى يتحسر على عدم نصرته ويحمل خصمه مسؤولية تثييط الهمم من القيام بواجب الجهاد .

وكانت هذه الحادثة في حقيقتها صورة من صور المفاصلة بين الرجلين وقد ربط ابن المقرى بين هذا الموقف لابن الرداد وتسكيته بجمهور الفقهاء من المنكرين على الصوفية فيقول :

ولا مالفى في الله منك رجالة من الهول في إنكاره والمخاف  
كتل ابن نور الدين حباة ربه ومثل الحرازي والرجال الأواخر  
وكانا شري الجبر أحد ذى التقا ملكك بما اذيت كل ناشرى

وهكذا يعطى قد ابن المقرى صاخبا عنيفا فلا يكاد يسمعه خصومه حتى يتحاشونه بالمديد من الرودود المصنف وقد ذكر البرهوى أن نقد ابن المقرى على الصوفية اشتهر شهره واسمه حتى ( بلغت شهرته إلى مصر والشام ) .

#### « محنة الفقهاء »

وسواء وفق ابن المقرى في رده على الصوفية أم لم يوفق فإن ابن الرداد استطاع أن يثب حرم السلطان الناصر عن القيام معه في وجه الصوفية بعد أن جمع له ابن المقرى الفتاوى المطلوبة فتصل من كل ذلك ولم يبق بوجهه . وهذا يجرنا إلى البحث حول سياسة الناصر التي تعتمد في كثير من الأحيان على أسلوب المراوغة وعدم تغليب أحد الفريقين المتنازعين على الآخر وهي نفس السياسة التي تبناها والده الملك الأشرف وإن كان الأخير له بعض الميل الملحوظ إلى

ناحية الصوفية بل قد رأيناه في آخر عمره ينحاز كلياً إلى جانب الصوفية كما سنرى ذلك فيما بعد .

وهكذا فإن العمل الذي قام به ابن المقرى ومن تبعه من الفقهاء في التحريض على الصوفية ليس له أثر ايجابي يذكر وكل ما أحرزوه هو آثاره الشبيخ ابن الرداد عليهم الذي سعى في التشكيل بهم مدعوماً في ذلك بمركزه الهام وصلته الوثيقة بالملك الناصر فقد ذكر ابن الأمدل أنه لما نجح الفقهاء في تحريض العامة على الصوفية وشاع ( تكفير من يتدين بذهب ابن عربى في مدينة زيد )<sup>(١)</sup> اتصل ابن الرداد بالملك الناصر وكان في ذلك الوقت يصطاف في مدينة (٢) تمر وشكى إليه فعل الفقهاء فخشى السلطان أن تحدث ( فتنة بين الفقهاء والصوفية بمدينة زيد ويحصل في المملكة حدث )<sup>(٣)</sup> فاصدر أوامره بتشكيل الفريقين إلى أن يعود من مدينة تمر وفي تلك الاثناء اغتتم ابن الرداد فرصة الهدوء النسبي وقام بحملة شاملة لتأديب الفقهاء فتمهم ( من ضرب ومنهم من أخيف ومنهم من هرب وخرب داره ومنهم من رجع عن تفكيك ابن عربى وأباحت )<sup>(٤)</sup> .

وكان من ضحايا الحادثة المقيية ابن نور الدين الموزعى الذى مرت بنا مناظرته لابن الرداد فقد سعى هذا في نزع أسبابه المعيشية وحاول القضاء عليه بكتابة محضر ( كتبه عليه قاض موزع يومئذ وكان من أصحاب ابن الرداد

(١) الأمدل : كشف الغطاء ص ٢٢١ .

(٢) كان الاصطلاف بمدينة تمر من العادات الثابتة عند الرسوليين وقد أشار إليها العمري في موسوعته - ممالك الأبطال يقول : ان صاحب اليمن يحيى بن يوسف (١) يريده انظر ممالك الأبطال - قسم خامس بملكية اليمن ص ٤٦ .

(١) (١)

(٢) (٢)

(٣) (٣)

(٤) (٤)

(٣) الأمدل كشف الغطاء ٢٢٢١

(٤) المصدر السابق نفس الصفحة

فصله الله من شره) (١) ثم أمر بقتله من بلده ومن بين المصلحين الفقيه ابن  
الحرازي (٢) الذي نفى من اليمن بسبب فتوى قالها في تحريم المساح كما استدل  
من نظم ابن المقرئ يقول :

أقن الحرازي بتحريم القتل نفى عن البلاد كما ينق أخو الجرم (٣)

أما ابن المقرئ فأغلب الظن أن ابن الرداد لم يستطع أن يسه بسوء لأسباب  
تعود إلى شخصية ابن المقرئ القوية ومكانته العالية في الدولة إلا أن بقية الفقهاء  
قد أصابهم الأذى العامل فنه من ضرب ومنهم من نفى ومنهم من سجن وقد  
أجمل لنا هذا الموقف المؤرخ ابن الأمدل قال عند حديثه عن ابن الرداد (ونصب  
الجلال لفقهاء وقته لانكارهم عليه بالشرع وجرت لهم أمور يطول شرحها من  
السعي إلى السلطان بالأذى والامتحان للفقهاء فوقعوا بسببه في شدة) (٤).

أما ابن المقرئ فيصور هذا الموقف بأسلوب شعري مؤثر فيقول :

في كل يوم قتل أما يحاط به منهم فيسحب سحب الجازر الجزري  
أهم حارب من قد قامت قبائمه نطار في الأفق لا يبقى له أثر  
تقسمهم بقاع الأرض فاندفعوا وخلفوا في القلوب الحزن مستعرا (٥)

ولم ينج الفقهاء مما أصابهم في محنتهم سوى موت ابن الرداد في سنة ٨٢١  
ببلده (فكانوا يحرقونهم قراضا عظيمًا للفقهاء) (٦).

وبموت ابن الرداد انتهى جولة ثانية من الصراع بين الفريقين

### • المرحلة الثالثة •

فقد الصوفية بموت ابن الرداد أكبر مناصر لهم أمام خصومهم من الفقهاء  
إلا أنه لا يزال هناك من يدافع عنهم بكل قواه وعلى رأس هؤلاء الملك الناصر  
الذي احتضن اتباع الشيخ ابن الرداد بعد موته ووقف في وجه كل من  
ينكر طيبهم .

ولم يبق إلا اثنان يرجى لواحد : متاب ولثاني حسام مجرب (١)

فالأول هو الشيخ المجاجي الذي يتوقف ابن المقرئ في أمره ويرى أنه  
(صالح وسليم النية) (٢) وإنما كان يحسن الظن بابن عربي ويرغب في تعاليمه  
عن جهل بحقيقة أمره ومع ذلك فهذا الرجل هو الذي تصدى لابن المقرئ في  
مؤلف ضخم كتبه قبيل وفاة ابن الرداد بأشهر قليلة وسنعرض له فيما بعد .

وأما الثاني فلا شك أنه يعني به الكرمانى وقد كان ابن المقرئ يقول بتكفيره  
منذ مدة وقد دعى إلى قتله في أكثر من قصيدة موجهة إلى السلطان على اعتبار أنه  
(يعتقد مقالات ابن عربي ويعرفها بأعيانها) (٣) هؤلاء هما شخصي النزاع اللذان  
ترأسا المعركة من قبل الصوفية وستجدهما قد استعملتا نفس السياسة التي سار  
عليها سلفهم من الصوفية أمثال الجبرتي وابن الرداد في التقرب إلى السلطان  
والاستعانة به في مجابهة خصومهم من الفقهاء فقد كان المجاجي على الرغم من أنه  
صاحب ثروة وبسار إلا أنه لم يترك جانب السلطان والاستعانة به على خصومه  
وكذلك الكرمانى (٤) .

(١) ابن المقرئ مجموع شعره ص ٤٩

(٢) الأمدل : حصة الزمن (مخطوط)

(٣) الأمدل المصدر السابق

(٤) الأمدل المصدر السابق ويقول البيهقي في حديثه عن المجاجي ( وصحب الملك  
الأشرف واجهه الناصر وكانت له منزلة عندهما )

(١) المصدر السابق نفس الصفحة .

(٢) الأمدل : في حجة هذا الجليل ليس هو به أسبه كلبا .

(٣) ابن المقرئ مجموع شعره ص ٤٩

(٤) الأمدل حصة الزمن ص ٤٩

(٥) ابن المقرئ مجموع شعره ص ١٥٠

(٦) الأمدل كتب القضاء ص ٢٢١

(٧) الأمدل : حصة الزمن ص ٤٩

وقد الفخول في تفاصيل أحداث النزاع التي أسفر عنها تحرش الفريقين بعضهم البعض نحب أن نقف قليلا عند طبيعة العلاقات التي ربطت بين رئيسي النزاع في هذه المرحلة من ناحية الصوفية والفقهاء وأضنى بهما المزجاجي وابن المقرئ وقد إبان عن هذه العلاقات كل من الرجلين في الردود التي تملكت النزاع وأنت محمد ابن المقرئ قد صرح بصداقته للمزجاجي في أكثر من مقطع كقولہ .

وما عجبى من أعجمي<sup>(١)</sup> وبضه لدين بفضل المعجم لا العرب معرب  
لذاك عدو والشبيد محمد ولكنني من صاحب لي امجب<sup>(٢)</sup>  
ويذكر من مفارقتة له بعد نزاعه معه في مسائل التصوف فيقول :  
فأدبه في الله من بعد ما مضى . لتأزمن وهو الصديق المحب  
وجانبة إذ لم يكن لي بخلص من الله إلا هجرة والتجنب  
وما كنت أرضى هجرة وفراقه ولكن رضى الباري أم وأوجب<sup>(٣)</sup>  
فابن المقرئ يؤكد صداقته للمزجاجي في كثير من نظمه حتى في تلك المأقطوعات التي تلمس فيها تقدمه اللازم له .

أما المزجاجي فنجده يذكر ابن المقرئ متبوعا بلفظ أخى وصديقى (   
إذن فهناك صداقة بين الرجلين لاشك فيها إلا أنها سرهان ما أستعالت إلى  
هده سافر على أثر اختلافهما في المبدأ وقد أوج هذا العداء مؤلف المزجاجي  
المسمى (هداية السالك إلى أسنى المسالك) في الرد على صديقه ابن المقرئ وهو

(١) بنى الكرماني .

(٢) ابن المقرئ : ديوان شعره ص ٤٢

(٣) المصدر السابق ص ٤٧ .

مؤلف ضخمة فرغ من تأليفه في ( أواخر شهر جمادى الأولى من سنة ٨٢١ )<sup>(١)</sup>  
أى قبل وفاة شيخه ابن الرداد بنحو خمسة أشهر فقط<sup>(٢)</sup> .

وقد طالع ابن المقرئ هذا الكتاب الذى خصصه في الرد عليه وحاول تقدمه  
في العديد من قصائد التي حفل بها ديوانه ومن خلال ما جاء في رد ابن المقرئ  
نستشف كثير من القضايا التي عالها المزجاجي .

فقد أشار ابن المقرئ — أولا — إلى هذا الكتاب وحاول تنسيبه ما جاء  
فيه بقوله : —

وصنفت شيئا عنه قد كسب في غنايه في الاناشيد وفي الأرض اشخب  
وفيه روايات ثبات سقيمة ولا حكم ان صححت عليها ورتب  
خرافات ليل والخرافات لنفساء ورواها منام والنامات قلب<sup>(٣)</sup>  
ثم يعرض إلى تلك الروايات التي يكررها المزجاجي في تناء الطعناء على ابن  
هري ويحاول ابن المقرئ ان يعتذر لهم بأنهم لم يعرفوا حقيقة هذا الرجل وقد  
غرمهم باسم التصوف .

ذكرت رجالا قلت اتوا بمصالح على شيخكم والبعض شكوا واضربوا  
فهيئات ما مثل ولا ساكت درى بما حقه معكم في المجالس ينطرب  
ولكنه باسم التصوف غرهم فظنوا والصوفى صلاح ومنصب<sup>(٤)</sup>

ويعرض لتكذيب المزجاجي له في روايته التي قال فيها ان كتب ابن هري  
حرق في مصر وذلك كأن يقول المزجاجي مخاطبا ابن المقرئ ( وأما قولك

(١) المزجاجي هداية السالك مخطوط .

(٢) توفى الشيخ ابن الرداد في شهر ذى القعدة سنة ٨٢١ هـ .

(٣) ابن المقرئ : ديوان شعره ص ٤٤ .

(٤) المصدر السابق ص ٤٤ .

في القصيدة الرائية ان كتب ابن عربي حرق في جميع الارض فعاش في وادي  
الله ذلك ماسع هنا في بلد من بلاد الاسلام فكيف في جميع الارض العاقل  
ملاك لا يتكلم بكلام مجازمة لا أول له وكتاب من كتب أعلام المتبرين ولا في  
تاريخ من تواريخ المسلمين (٢٧) ما نجد ابن القري يرد على المزاجي مؤكدا  
قوله السابق في رايته فيقول .

بل ثقة من مصر قال رايته (٢٨) بطاف به في حق كلب ويسحب (٢٩)  
ويشد قول للمزاجي في نصيحت له (مالك يا أغني والصوفية وعلومهم لم  
علوم وأحوال ومكاشفات من عند الله فأنا وأنت من خيل هذا الميدان اتركهم  
وعلومهم واشتغل بما بينك (٣٠) كنستمع لابن القري وهو يرد عليه في هذه القطعة:

فان قلت لا أتم ولا أنا عارف      بقالة بل مقصد الشيخ أغرب  
قلت لك لم تكذب بما أنت عارف      لنفسك لكن أنت في الغير أكذب  
فان هنا لو كنت تعقل من بهم      عن هروغ للشكلات ونحلب  
إذا كنت لا تقرأ فدع ما جهك      وقد رسول الله تج وتصح

(١) المزاجي مدية الملك مخطوط

(٢) بنى به كتاب القصص لابن عربي .

(٣) ابن القري يقول شعره ص ٤٤ وللقصيدة السابقة التي رد عليه المزاجي فيها يقول  
ابن القري :

أما حرق في مصر والشام كله      فاطع أهل العلم بلاد وحاضر  
ويؤيده في ذلك أن البلقين قاضي مصر في عهد ابن القري كان من خصوم أتباع ابن عربي  
فلا تستغرب أن يقوم بحرق كتب ابن عربي .  
(٤) للمزاجي : منابة السالك مخطوط .

عرفنا كلام الله جل جلاله      فدع ما يقول الأصمى المتعرب (١)

يقول مخاطبا المزاجي : إذا كنت لا تدرى ما بينه شيخك ابن عربي مان  
من هذا كله أن توجه إلى الكتاب والسنة فهو أول من تقليد ذلك الشيخ الأصمى  
ويبنى به الكرمانى ) .

ومكنا يبنى ابن القري في تنفيذ جميع خصمه الواحدة نلو الأخرى .

وقد أصبح ذلك الكتاب الذي وضعه المزاجي في الرد على ابن القري صورة  
من مخططات المركبة بين الفريقين فشر أمره وعلى وجه الخصوص أثناء التواضع  
المحتدم بينهم واختلعت الآراء حوله لفقاء يرون فيه أنه ( آخرى على حكايات  
وغرافات ) (٢) ومنهم من يشكك في نسبه إلى المزاجي وقد زعم الأمدل أنه  
( استعان في تأليفه ببعض التحقيق ) (٣) .

والآن — بعد أن عرضنا لمادج — من الجدال المتعرب المزاجي  
وابن القري — سنجد أن الصوفية لم يكتفوا في خصومتهم مع الفقهاء بسجرد  
الردود الكتابية فقد سموا بكل تقليم عند السلطان الناصر بقصد إذية ابن القري  
وقد سبق ذلك هذه وشايات على شكل قصائد أرسلت إلى السلطان توعم أن ابن  
القري لم يكن يعنى بشكوا الزمان سوى التعريض بمكانة السلطان نفسه ونسمع  
أحدهم — وهو ابن رويك — يقول في آخر قصيدة أرسلها إلى الملك الناصر  
معرضا بابن القري . —

لا يشككي ريب الزمان معرضا      بك إذ بدا من غيره تعريض  
لا يبعد التعماء ولا هو يدعى      حق العلو وأنه منخوض

(١) ابن القري مجموع شعره ص ٤٥ .

(٢) ابن الأمدل نسخة الزمن مخطوط .

(٣) المصدر السابق (مخطوط) .

ويظن أن له طو ما جمعه يشفى بها الأمراض وهو مريض<sup>(١)</sup>  
حننة ابن المقرئ

وهذه الرشاية وغيرها مما يخصوم ابن المقرئ الجوارح المناسب للإيقاع به عند الملك الناصر فما أسهل من التأثير على شخص مثل الناصر بما عرف به من قلب في قبول الأشياء ورفضها وقد وقع هذه المرة تحت تأثير جماعة من كبار الصوفية أمثال الكرماني والمزجاجي اللذان كان لهما ضلع رئيسي في حنة ابن المقرئ وقد ذكر الأهدل أن الملك الناصر لما قرب إليه الكرماني (قبل منه وشايته في ابن المقرئ)<sup>(٢)</sup> وسرعان ما تحول من صديق مخلص إلى عدو مبين . فأخذ ابن المقرئ حذره من تحريك الملك الناصر ضده حتى إذا أرسل جنده إلى منزله بقصد القبض عليه نهّد ابن المقرئ قد فر سخيلاً إلى قرية بيت الفقية في حمى المشايخ بنى هجيل فلم يستطع الناصر من أن يمه بسوء ويقول ابن الأهدل في وصف هذه الحادثة (أرسل الملك الناصر من هجم على منزله بالنخل وقبض المسكر جماعة من الطلبة وسلم ابن المقرئ ومنزله وكتبه ولم يؤخذ له شيء)<sup>(٣)</sup> وهكذا لم يراعى الملك الناصر في صديقه القديم علمه ولا شيوخه وكان قد ناهز الثمانين سنة<sup>(٤)</sup> فقبل من ابن الكرماني سعيته فيه ولعل ابن الكرماني وإضرابه من الصوفية وجدوا في القصيدة التي يقول فيها مخاطباً الملك الناصر .

كلا ودين الله أفضل ما تكلا وأفضل ما أمنت في نهجه السبلا

(١) أورد في هذه القصيدة جامع ديوان ابن المقرئ ص ٢٤٤ .

(٢) الأهدل : كيف النطاء .

(٣) الأهدل : تطلع الزمن (مخطوط) .

(٤) يقول في آخر قصيدة أرسلها إلى الناصر قبل هروبه :

أخذ نصيح من حانا الثمانين سنة ١ وذلك حرم من يقارح فلا  
ديوان ابن المقرئ ص ٥٦

فذلك حسن دين الآله مقدم على كل شيء دق عندك أم جلا  
ومنا أنت إلا نائب الله في الورى فلا ذقت يوماً من نايه مرلا  
إلى أن يقول :

فواقة لا حاييت في ديني أحرا . ولا صانعت نفس بخالقها خلا<sup>(١)</sup>  
..... وجدوا فيها منفدا لإغاطة الملك الناصر عليه وقد أشار إلى هذا جامع ديوانه فذكر أن هذه القصيدة هي التي (حصلت عليها الفتنة و نخل وادى ربيد)<sup>(٢)</sup> .

ومهما يقال في أسباب نقمة الناصر على ابن المقرئ فإن هناك عدة عوامل تجمعت لتشكيل ذلك الغضب ومن أهمها السماية السيئة ضده وسوابقه الكثرة في مناهضة الصوفية وقد ظل طيلة حكم الناصر معارضا للصوفية بما سببه النقمة . على أن ابن المقرئ لم يقطع كل رشائحه بالسلطان فكان يرأسه وهو في منفاه بالقصائد العديدة ويستعطفه فيها ويحثه على العفو كقول في قصيدة إليه :

ولقد فقدت وأنت أعلم منك إنسا ولطفاً ما به تفويض  
ورضى وفقد رضاك ليس بهين عندي فيحسن من التفويض  
واقه لولا ما تعدتني المنى عنكم وما علمي به محوضى  
ما عدت إلا ريتما يمضى القضا وبقي ينقص بنية تفويض<sup>(٣)</sup>

وما زال ابن المقرئ يرأس الملك الناصر بمثل هذا الشعر حتى عطف عليه وحفى عنه ويقال أنه خشى من التجائه إلى الامام على بن صلاح الدين الامام في ناحية الجبال (ونقل عن الناصر أنه قال أن يطلع ابن المقرئ إلى الجبال كفرونا

(١) المصدر السابق ص ٥٣

(٢) المصدر السابق ص ٥٣

(٣) المصدر السابق ص ٢٤٥

واستلوا أهل بلادنا جيله (١) ومن ثم كان تحريه لابن المقرئ مدار له منه وخشية من التجاه إلى الإمام الذي لا شك أنه يستبصر لوجه ابن المقرئ إليه كسبا سيابا كبيرا وذلك لشهرة ابن المقرئ وذلك الوقت وموافقة له في الإنكار هل الصوفية لذا فإن الملك الناصر لم يترك هذه الفرصة لخصمه أذرعان ما استدعاه إلى زبيد ولم يعطى على حروبه موافقة (سنة واحدة) (٢).

وبعد ما عاد ابن المقرئ إلى زبيد كان الملك الناصر يجيش آخر أيامه وقد بدا المرض يابو فلم يبق مسألة الصوفية من الأمور وأكده إلى آمد قصر وكل مانعة من ابن المقرئ في هذه الفترة بضعة آيات يسكت فيها جماعة الفقهاء الذين وقفوا في محنة موقفنا سليما فلم تكن لهم أدنى مشاركة فعلية وقد اعادوا إلى أذهاننا جهودهم وحيداً أثناء الحركة في آيات قالها :

ولم يردى أدموا بين أظهركم فلم يجرى أمره منكم ولم يشب (٣)

بل إن من الفقهاء من لم يكتفى بالسكوت فوقف مع الصوفية معارضا لابن المقرئ ومن جماعة دجروا عدة فتاويات تدمج الصناعات التي جمعها ابن المقرئ وتذهب إلى تأييد الصوفية وقد أشار إليهم ابن المقرئ بقوله — مخاطبا الملك —

ولا تصغ لفتوى التي نطق بها رجال هوى حابوا رجال هوى شكلا (٤)  
وكان من أبرز هؤلاء العلماء الذين انحازوا إلى الصوفية الفقيه هل بن محمد بن فخر

(١) الأمدل : كتاب النظم ص ٢٢٢ وديوان ابن المقرئ ص ١٤٩

(٢) المصدر السابق ص ١٤٩ .

(٣) المصدر السابق ص ٩

(٤) المصدر السابق ص ١٥٥

الذي نهج له ترجمة عند البرهاني والسخاوي (١) وقد ذيل هل ترجمة ابن الكرمانى بالموافقة هل تعاليم الصوفية فكان هذا العمل مبني على سند شديد عند ابن المقرئ حتى أنه أرسل إليه قصيدة ينكر عليه موافقة تلك جاء فيها :

بعت الهوى واعتصمت منه ضلاله نعم المبيع وبئس ذلك المشتري

أهل شغل القبر قمعت نعيمه ولو استعصمت به الخلود لتحشرا (٢)

ومن الفقهاء من انحاز نهائيا إلى جانب الصوفية وكان حربا هل جماعة أمثال يحيى بن روبك (٣) الذي وقف ضد ابن المقرئ وظل يتحرش به عند السلطان بالعديد من القصائد رغبة منه في موافقة الصوفية هل معتقدهم والدفاع عن رجالهم أمثال الكرمانى وغيره . وقد كان ابن روبك من طائفة الفقهاء بدليل أنه كان ينكر في أول أمره تعاليم الصوفية يقول المقرئ (٤) :

ما كنت تروى يا ابن روبك قولهم إلا رواية منكر غضبان

(١) ترجم له بقوله هل بن محمد بن عبد الله بن فخر المكي الزبيدي وقد سنة ٧٥٨ هـ وعدم إلى أن صار مفتي زبيد وفيها والرجوع إليه في ذلك الوقت وأكبر مفتيها سنا وأخذ الناس عنه وهو أول من ولي من الشافعية أمامه مسجد الأشاعر بها سنة ٧٧٩ توفي سنة ٨٤٢ هـ ول تاريخ البرهاني ورد ذكر كتاب له بعنوان ( الظاهري ) صنفه باسم السلطان الظاهر يحيى بن إسماعيل الرسول في الفقه . وترجم له أيضا ابن حجر في ( إنباء الفهر ) والمقرئ في ( السلوك ) ( الضوء اللامع ج ٥ ص ٣١٢ ) .

(٢) ديوان ابن المقرئ ص ٣٧ .

(٣) ترجم له السخاوي بقوله ( أبو محمد يحيى بن روبك شيخ النعاه في عصره باليمن فقه بصناء ثم استوطن حمز ومدح الملوك وقامت له رياسته معهم . وكان على طريقة العرب لارتجال شعر مات سنة ٨٣٥ في نخل وادي زبيد ودفن هناك ( الضوء اللامع ١٠ ص ٢٢٥ ) .

(٤) ديوان ابن المقرئ

فقال قمت هل الآله مضيا      متظاهرا بكرامة الكرمانى  
ما كنت أحسب أن دينك دينهم      أبدا ولا صدقت غير الآى  
وبهم المقرىل أذية ابن روبك له بالتحريض عليه عند السلطان فيقول (١)  
ثم ابن روبك قائم من موه      ومخادع بالسر السلطان  
وقد استمرت المداورة بين الرجلين أمدا طويلا حتى آخر مراحل النزاع بين  
الفقهاء والصوفية في عهد الملك الظاهر يقول ابن المقرى (٢) .

فل لابن روبك لم لا عداة ربنا      منك الوداد وللوال الشناة  
حاربتى إذ قلت ربك واحد      ونصرته إذ قال هو عدة  
من أن ابن المقرى ما كان سبهم بالرد على ابن روبك لولا أنه وجد له نفوذ  
كبير عند رجال الدولة الرسولية وذلك باعتراف ابن المقرى نفسه الذى نسمعه  
يقول الملك الظاهر :  
ورأى ابن روبك أنه في وقته      وجه وكلمته بكم مسموعة (٣)

#### ( موت الملك الناصر وتحسن حالة الفقهاء )

بعد موت الملك الناصر (١) بطالع الفقهاء عهد جديد من الأمن والحرية وقد  
انزاح عنهم أكبر عقبة في سبيل إصلاحاتهم الدينية إلا أن الصوفية فقدوا بموت  
الملك الناصر أكبر صديق لهم ومدافعا عن قضيتهم وقد رأينا في آخر عمره يتحاز  
إليهم إعجابا تاما ضد خصومهم من الفقهاء وقد كان هذا دافعا رئيسيا لنقمة الفقهاء

(١) المصدر السابق

(٢) المصدر السابق ص ٢٤٩

(٣) للمصدر السابق ص ٢٤٩

(٤) تولى الملك الناصر أحمد بن الأعراف إسماعيل بن حصن قوارير ودفن بمدينة حمز في ١٦  
جواد الآخرة .

عليه فقد وصفوه بأشنع الأوصاف ومنهم من أرجع سبب موته إلى نقمة إلهية  
نزلت عليه يقول ابن حجر المسقلاني - وهو فقيه هاش في مصر إلا أنه كان  
يتابع قضية النزاع في اليمن عن كتب - ( وكان الملك الناصر فاجرا جائرا مات  
بسبب صاعقة نزلت على حصنه المسمى ( قوارير ) فارتاع من صوتها فتوعلك ثم  
مات ) (١) أما ابن الأهدل فيصفه بأنه أكثر من شرب الخمر وقرب إليه المبتدعة  
حتى ( ضاقت منه صدور الناس ) (٢) وهكذا فإن موت الملك الناصر يعد من  
النعم الكبرى على الفقهاء .

وقد خلفه في الحكم ابنه الملك المنصور ٨٢٩ - ٨٣٠ هـ الذى اخذ من  
سيرة والده مع الفقهاء والصوفية المبره اذ سرعان ما قرب اليه جمهور الفقهاء  
وأحسن اليهم وكان على رأس هؤلاء الفقيه ابن المقرى الذى عطف عليه وضمه  
إلى مجالسهم (٣) .

وكان ابن المقرى قد سعى بعد تولى الملك المنصور الحكم مباشرة في العمل  
ضد الصوفية إلا أنه وقف أمام عقبة كادها حيث كان الصوفى الكبير محمد بن  
محمد المراججى يماله من مكانة قصوى في المجتمع اليمنى قد أحبط كل مساعى  
ابن المقرى ضد الصوفية وهكذا كان على ابن المقرى أن يترك القضية برهة من  
الزمن حتى طالعت الأخبار ذات يوم بموت المراججى في ٢٤ ذى القعدة  
سنة ٨٢٩ هـ ولم يمض على حكم المنصور سوى سنتين فيكون موت هذا الطم  
أكبر قاصمه لظهور الصوفية إذ بموته فقدوا آخر شخصية تنافح عنهم وكان على  
الصوفية من أتباع ابن عربى أن يجابهوا الموقف بمفردهم وقد أصبحوا عرضة

(١) ابن حجر أبا الفرج ج ٣ ص ٣٣١

(٢) غاية الأمانى ص ٥٦٦ .

(٣) الأهدل : كشف النطاء ص ٢٢٢ .

حالات الفقهاء عليهم بعد أن وجد الفقهاء من رجال الحكم إذا ما صاغية لتحريشاتهم  
بهم ويستخرج لنا ذلك جلياً في الجاهلية العلية بين ابن المقرئ والكرواني  
من الصوفية .

وقبل الدخول في تفاصيل النزاع بين الرجلين يجب أن نعطي القارئ له  
من حياة الكرواني الذي يعتبر آخر أتباع ابن عربي في اليمن خلال تلك المرحلة  
وهو - د. القادمين إلى اليمن الذين أنوا منذ مدة مبكرة ولم يفصح أحد وأغلب  
الظن أنه جاء قادمًا من مدينة كرماني<sup>(١)</sup> الواقعة في إيران كما يظهر من نسبت  
إليها من ترجمته من الترجمة التي أتى منها وهو من العجم (الفرس) كما يشير إلى  
ذلك شعر ابن المقرئ وقد حل معه من تلك الجهات<sup>(٢)</sup> لوعة التصوف الفلسفي  
الذي كان سائد في إيران ونواحيها ومن ترجمته من ذهب إلى أنه كان يعرف  
فلسفة ابن سينا<sup>(٣)</sup> وعندما نشر هذه الفلسفة في زبيد اصطدم مع شيوخها  
الذين لم يكن لهم بها عهد<sup>(٤)</sup> ففهاء معهم نزاع إلا أنه استطاع بددوى

(١) كرماني مدينة في إيران قاعدة الإقليم الثامن حالياً مساحتها ١٦ ألف كلمتر وهي  
مركز تجاري هام شهيرة بصناعة الأنجة العلية والصوفية والسجاد (النجيد في الاعلام  
ص ١٣٣) .

(٢) نبع من تلك الجهات من الفلسفة جماعة من أشهرهم حميد الدين الكرواني الفيلاسوف  
الاسماعيلي .

(٣) السطوي الضوء اللامع ج ١ .

(٤) وقد وقعت مثل هذه الحادثة قبل هذا التاريخ بنحو قرنين عندما جاء إلى اليمن الزكي  
ابن الحسن البيلقاني ومنه شيء من علوم الفلسفة كالتنطق وغيره يقول بالمعزومة في وصف حادثته  
تلك مع الفقهاء ( كان أول وصوله إلى عدن لم يتعرض لتذكر الأصول ( الفلسفية ) والتنطق  
ولأنما تظاهر بالراء كتب الفقه فقرأ عليه القاضي يومئذ وهو عماد بن أحمد المنسي (وجيز) =

التصوف أن يجذب إلى ناحيته شيوخ الصوفية الذين كان لهم نفوذ كبير وقد قرره  
إليه الشيخ إسماعيل بن أبي بكر الجبرتي ومن بعده خليفته أحمد الرداد  
والمزاجي فكانوا سنداً له ضد هجمات الفقهاء عليه . وكما نود أن : نظفر  
بمرجع يشرح فلسفته الإلهية أولاً اتنا لم نوفق في العثور على شيء من ذلك  
وكل ما عثرنا عليه في هذا الصدد تنف منفرة جاءت على لسان خصومه من الفقهاء  
وهؤلاء يجب أن لا نعتد بأقوالهم في معرفة فلسفة الكرواني لأنهم لم يعيد  
عليه حتى أنه يكاد تختفي كثر من الحقائق عن هذا الرجل .

وعلى كل فليس أمامنا سوى الرجوع إلى مصدر الفقهاء لعدم وجود ما يقوم  
مقامها وسنجد من أبرز هؤلاء الفقهاء الذين تعرضوا لفلسفة الكرواني العلامة  
ابن المقرئ الذي أطعن في الرد عليه ودعا إلى تكفيره بل إلى قتله كما سيتضح لنا  
ذلك فيما بعد وقد أشار إلى متفرقات من فلسفته أثناء رده عليه من ذلك عرض  
ابن المقرئ لرأي الكرواني في النبوة وأن موسى كان عجولاً بخلاف فرعون  
الذي يطلب عليه الحلم والآناة يقول<sup>(١)</sup> .

== الفزالي ثم لما وجد عند السلطان أقبال عليه أظهر فلسفته وأقراء المنطق فأنكر عليه القاضي  
المذكر ولأن النائب على فقهاء اليمن عدم الاشتغال بالمنطق خاصة ثم أن القاضي المنسي حمر  
البيلقاني ونابذه واستطار الشقاق بينهما ولم تطلب نفس القاضي بتدريس ابن البيلقاني في  
المدرسة النصرية فسعى إلى إخراجها منها وقال للسلطان التصور هذا رجل جاء بشيء  
لا يعتنقه أهل اليمن ولا يعرفونه وإذا سمعوه أنكروه ونسبوا صاحبه إلى الخروج من الدين  
(أظهر تاريخ نشر عدد ج ٢ ص ٨٠) .

(١) هيوان ابن المقرئ ص ٣٩ .



(مصادرة الكرمانى)

وإذا كنا قد عرضنا لفلسفة الكرمانى - كما نقلها ابن المقرئ - فما علينا الآن إلا أن نقضى نظرة على النزاع فى مرحلة الأخيرة وسنجد قد انحصرت نظائره فى شخصين هما الكرمانى السابق الذكر - من جانب الصوفية - وابن المقرئ - من جانب الفقهاء - ولم نعد نسمع غير صوت هذين الرجلين .

وقد كان ابن الكرمانى قد عقد - بموت صديقه المزجاجى أكبر مدافع عنه وأصبح فى موقف لا يحدد عليه حيث لم يعد هناك من يحميه الحماية الكفافية ضد تحرشات خصومه من الفقهاء باستثناء بعض الشخصيات البسيطة ذات النفوذ المحدود ومن أبرزهم الأمير شمس الدين على بن الحسام بن لاغين<sup>(١)</sup> والفقهاء يحيى ابن روبك وهؤلاء سينعدم تأثيرهما عند ما يقوم ابن المقرئ بمهمة الجديدة على الكرمانى .

قد نجح ابن المقرئ هذه المرة فى التأثير على الملك المنصور بشأن الكرمانى واستطاع أن يدفعه فى القيام بعمل معاد حيث نهد المنصور قد أرسل جماعة من جنده للهجوم على منزل الكرمانى ومصادرة ممتلكاته وكان يزعم فى إعدامه لولا تدخل أحد الأمراء فى قضيته فاطلقه بصفاعة هذا الأمر على أن يخادر مدينة زيد فذهب إلى مدينته بيت الفقيه مستجيراً بشيوخها بنى هجيل .

ولم تضى سوى مرة قصيرة على الحادثة حتى يتوجه الكرمانى إلى تمر ومنا يكون له ابن المقرئ بالمرصاد فيظهر عليه الفقهاء تمهيداً للقيام بعمل آخر حده وقد صاغ ابن المقرئ صورة استفسار موجه إلى الفقهاء يذهب فيه إلى أن ابن الكرمانى قد خرج من الدين وأراح حكمه هو حكم المرتد ثم طلب من الفقهاء الإجابة عليه فما كان منهم إلا أن كتبوا بالإيجاب وذهبوا فيها كته مذهب

(١) ديوان ابن المقرئ ص ٢٨ .

وحقرته من عداقة قدره وحظن ما حرقه من نصر  
كقولكم بوسو محمول ووصكم  
كما عاب عن إراميه صدقة رؤيا يذبح إسماعيل وأنكروا عليه  
اتباع رؤيا بل أنه خرج من هذا تقول إلى نفى صدق رؤيا الأبياء جميعهم  
بما فهم فتناً محمد صلى الله عليه وسلم :

ورؤيا الخليل الذبح قلته ينبغي لرؤياه تأويل ولكن لم تدرى  
وقلتهم تمام فى تمام لكل ما آتى من رسول الله والهى والأمر<sup>(١)</sup>  
أما رأى الكرمانى فى الألوهية فهو يذهب فيه إلى أن الألوهية والعبودية  
كثاماً محتاجة إلى بعضهما لبعض وأن الله سبحانه لا يستغنى عن عباده وهو  
محتاج إليهم بالطبع<sup>(٢)</sup> .

وقلتهم بأن الله جل جلاله على حال محتاج إلى الخلق مضطر<sup>(٣)</sup>  
وإذا كان ذلك معتق الكرمانى فلا فرق عنده بين عبادة الله وعبادة الصنم  
وشبهه بالخلق جهلاً وقلتم عبادة مثل العبادة الصخر<sup>(٤)</sup>  
وفى النهاية بنى ابن المقرئ على خصمه أنه فى الناس فلسفة الإلحادية وتنسوى  
مقائدهم :

قلتم وأوجعت القورى فى إلههم بما لا يطيق المرء فيه على الصبر<sup>(٥)</sup>  
ثم يقول له إنى لم أعاديك لشخصك وإنما لما جئت به من عقائد فاسدة فى مسألة  
البارى والأنبيا .

مواقف ما عرفت بغيا ولا هواً ولا فى سوى البارى ومرسله الطير<sup>(٦)</sup>

(١) المصدر السابق والصفحة

(٢) المصدر السابق ( نفس الصفحة ) .

(٣) ، (٤) ، (٥) ، (٦) . ديوان ابن المقرئ .

ابن المقرئ من خروج الكرمانى عن جادة الشريعة وكان من بين المجبيين - كما يقول ابن الأهدل - الفقيه الكامل والمفتي قاسم الدين وصافى. في هذه الأثناء وجود السلامة الاسلامى الكبير محمد بن محمد الجزرى في اليمن قادمًا (١) من مكة فكتب حول - قال ابن المقرئ فتوى تذهب مذهب الفقهاء (٢) ثم إنها عرضت على سائر علماء اليمن ومن بينهم ابن الأهدل الذى يقول راوياً عن نفسه ( ثم حكى الجوابات إلينا إلى قرية أبيات حسين فكتب عليها بحجاب أبلغ من الجواب الأول الذى كتبه في أول الفتنة ) (٣) ، (٤) وهكذا تجمعت حصيلة رافدة من الفتاوى كلها تجمع على كفر الكرمانى ومن ينتمى إلى مذهب ابن عربى ثم ثم ان هذه الفتاوى عرضت على الملك المنصور فأقر بما فيها وأمر باحضار الكرمانى لمحاكمته (٥) .

وقد اشار إلى هذه المحاكمة ابن الأهدل الذى يقول في وصف ما شاهده ( فاستعرض ابن الكرمانى إلى مجلس الشرع الشريف فاعلم التوبة والرجوع إلى الدين الإسلام ) (٦) .

ثم ان الفقهاء اشترطوا عليه بعد اعلان توبته ان يهجر كتب ابن عربى (٧) وان يكتب في ذلك صكاً يكون حجة عليه ( وكتب بذلك مسطوراً قرئ على منبر

(١) قدم الجزرى إلى اليمن في سنة ٨٢٨ هـ .

(٢) انظر هذه الفتوى في المصنف الخامس باللاحق .

(٣) الأهدل : كشف الغطاء ص ٢٧٢

(٤) انظر هذه الفتوى في المصنف باللاحق . وقد حنقناها بعد تضييع الكتاب وستبحثها في طبعة قائمة ابتداءً من الآن .

(٥) الأهدل : نصف الزمن مخطوط

(٦) الأهدل : كشف الغطاء ص ٢٧٢ .

(٧) الأهدل : المصدر السابق ص ٢٢٢ .

الجامع بربيد على لسان خطيبها موسى الضجاعي وقرأ أيضا على منبر المهيم (١) ولم ينتس الأمر عند هذا الحد فقد أمر المنصور بنفيه إلى جبران فظل مختفياً بها طيلة حكمه حتى وفاته سنة ٨٣٠ هـ وهذه المحاكمة العامة استناد الفقهاء بسلطانهم على الموقف من جديد ولم يعد هناك من يتابعهم بالنفى والتكيل أما الصوفية فقد انعكس الحال عليهم وأخذوا يتخفون بتعاليمهم خشية من الفقهاء كما يقول ابن المقرئ في قصيدة يصور فيها حالة الصوفية في تلك الفترة (٢) .

إذا شرعوا في الاعتقاد تخافتوا تخافت سراق على الحرز تنقب  
من الذل حتى يحسبوا كل صيحة عليهم فنلقى المرء في الأمن برغب

### في عهد الناصر الثاني

الا ان هذه السيطرة لم تدم طويلاً للفقهاء إذ سرعان ما توفي الملك المنصور فتخلفه في الحكم شاب صغير لا يتجاوز سنه الثانية عشر وهو الملك الاشرف اسماعيل ابن أحمد فيكثر ( الاختلاف والفساد في عصره ) (٣) فلم يلبث في الحكم سوا شهر قلائل ثم قبض عليه العسكر في مدينة تمر وخلعوه في نفس السنة التي تولى الحكم فيها .

وعلى الرغم من قصر مدة هذا الملك في الحكم فقد اهتم الكرمانى فرصة وجود ( الفوضى ) بالمدينة فدخّل زبيد متسللاً (٤) وهناك قابل الملك المنصور

(١) المصدر السابق . ص ٢٢٢ . ويقول ( وهذا السطور محفوظ عند جماعة من الفقهاء فليقف عليه من اراد ذلك ) .

(٢) ديوان ابن المقرئ ص ٤٨ .

(٣) غاية الامالى ص ٦٧ .

(٤) يقول ابن الأهدل حول دخول الكرمانى زبيد إلى هذه المرة ( أنه راسل بعض اصحابه زبيد فأقاه ) انظر نصف الزمن مخطوط .

واستطاع ان يؤثر عليه لصفه سنه وكانت الابهام التي قضاه المنصور في الحكم هي الابهام الذميه بالنسبة للكرمانى حيث وجد الحرية التامه في اعلان مذهبه الصوف والتدبير بتصرهم من العقلاء بل انه اشتغل في هذه الفترة بتصنيف مؤلف في الرد على ابن المقرئ صرح فيه برجرعه إلى مذهبه الاول من القول بوحدة الوجود وجادة الاصنام وغير ذلك<sup>(١)</sup> حتى ان ابن المقرئ لم يسمه إلا ان يضع رسالة صنفه في الرد عليه وقف عليها ابن الاملد وقال أنها تقع في نحو عشر ورقات<sup>(٢)</sup> ثم ان ابن المقرئ تابع رده عليه في عدة قصائد كقول في احداها مخاطباً الكرمانى ومذكراً له توبته تحت رجة السيف :

الم استب والسيف ينتهى وقد دارنا عيناك من شدة الادر  
وكان ندا يوم عظيم ومشهد به العلماء قد اجمعوا وذووا الامر  
وافترأ جميعاً ان قتلك واجب وتركك تنوى الناس من اعظم الوزر  
ونوديت من فوق المناير كافراً على اروس الاشهاد بالمناطق الجهر  
واسلمت خوف السيف كرماً فما الفنى : امننت به حتى رجعت إلى الكفر<sup>(٣)</sup>  
ثم يلفت إلى الملك الصغير ويحاول ان يحمي في نفسه الترخه الدينيه بأن يقول  
الكرمانى هل ظن ان لا ناصر لدين وهذا اسماعيل ليس له شغل سوى  
الذبح عنه .

ظنك بان الدين لا ناصره فجنحت لى تهفى به غلة الصدر  
كذب اسماعيل ملائيبه فان كنت لا تدري فلا بد ان تدري

(١) الاملد : كشف النطاء ص ٢٢٣ .  
(٢) المصدر السابق ص ٢٢٣ .  
(٣) ديوان ابن المقرئ ص ٣٨ .

ملكك الجرايا والذي ليس همه سوى الذبح عن دين المهيم والناصر<sup>(١)</sup>  
ويبدو ان الكرمانى استطاع ان يؤثر على الملك الاشرف بذكر ملكه الحسنه  
مع والده الملك الناصر وكيف أنه ظل مؤبداً له ضد خصومه من الفقهاء عنا جهد  
ابن المقرئ بعيد إلى ذهن الملك الطفل ان والده لم يمت الا بعد ان تبرأ من اتباع  
مذهب ابن عربى فيقول<sup>(٢)</sup> :

ومامات حق قد تبرأ منكم وأفضاك عنه من جر الكلب عن حبر  
ومات بمحمد الله احسن ميتة يموت عليها من ينعم في القبر  
تبرأ مما قتلتموه جميعه بمحمد آله العالمين وبالله الكر  
على أنه يدترف ان الكرمانى خدع الملك الناصر برعة من الزمن وهو الآن  
يحاول خداع ابنه بتحييد مذهبه إليه<sup>(٣)</sup> .

خدعت ابن اسماعيل أحد مرة وجرحته شوما أمر من الصبر  
وجئت لاسماعيل بى خداعه ايلس سلطانان ويملك من جحر  
ويحصى ابن المقرئ يذكر الابن بدووم الكرمانى على والده وأنه كان سبياً  
في هزائم كثيرة نزلت عليه<sup>(٤)</sup> .

لقد كان سلطان البريه أحد إذا صال لم يدفع ببحر ولا بحر  
تخلى له أهل الحصن حصونهم إذا امهم في موكباً لفتح والناصر  
فسله نعمانا<sup>(٥)</sup> وسائل كوابنا<sup>(٦)</sup> ودمتا وأطراف البلاد إلى الشعر

(١) ، (٢) ديوان ابن المقرئ ص ٣٨ .  
(٣) ، (٤) ديوان ابن المقرئ ص ٣٨ — ٤٠ .  
(٥) لسان اسم لصدمة أما كن في اليمن انظر صفحة جزيره (ص ١٦) وكوابن امل يني  
بها كيان .  
(٦) الاملد : كشف النطاء ص ٢٢٣ .

إلى أن هوى شيطان كرمان بابه وما ضى أبواب العريضة بالمكر وأول شؤم للنيب بسده حديث الفواقى وهى إحدى عشرة الدهر ثم تال المزانم الكثيرة كسقوط زيب وياض وعدن وحصى تمر إلى غير ذلك وكله بسبب شؤم ابن الكرمانى كما يقول ابن المقرئ :  
ومكذا وبأسلوب الأطفال يحاول ابن المقرئ جامدا أن يبغض إليه ابن الكرمانى إلا أنه انتعش في نهاية الأمر بعدم جدوى — ما يقول له ابن المقرئ في قصائد زبد على ذلك أن البلاد كانت تصعد زواج سياسة طاحنة تكون سببا في إزاحة الطفل عن الحكم دون أن تمر عليه سنة واحدة .

#### تولى الملك الظاهر واقتصار الفقهاء

وقد روى المسكر بعده عم الملك الظاهر يحيى بن اسماعيل الذى كان قابعا في سجون الأشرف لما كان من إلا أن قرب إليه ابن المقرئ وأزاح الكرمانى كنفيا إلى مدينة بيت العقبة (١) وذلك منه مخالفة ظاهرة لسياسة الأشرف . على أن الكرمانى كان معقرا من قبل الفقهاء — كما يقول ابن الأمد (٢) — فجاء تصريف الملك الظاهر تجاهه كترجمة فعلية لبعض الفقهاء له وقد اثنا عليه في هذا العمل ابن المقرئ بقوله .

ما كنت الاغارة الله ومن تطلب غارة الآله يدرك  
أخرجته من مجلس العلم وقد دسه بماء ياتفك (٣)

ومكذا ابن الكرمانى في منفاه بيت العقبة نحو منه كان خلال يداب في نهر منجمه الصوف بين الآمال وقد بلغ أتباعه فيها إلى نحو خمسين شخصا كما نفهم

(١) الأمدل : المصدر السابق ص ٢٢٣ .

(٢) الأمدل : المصدر السابق ص ٢٢٣ .

(٣) ديوان ابن المقرئ ص

من أحصاء ابن المقرئ لم الذى يقول (١) :

يرى على الحسنة قوم فرهم قد غدوا امسوا وكل بيت  
واقام في بيت العقبة لما بقي لخيارهم بيت العقبة بقية

ثم أنه أراد الدخول إلى مدينة زيب لحضور مجلس افطار الملك الظاهر بجانب العلماء وكبار الدولة (٢) فيأتى ابن المقرئ ليقتل معارضا لطلب الكرمانى ويقول السلطان (كيف يصل أن يدخل هذا الكافر بين المسلمين) ثم أنه يشر قضية قديمة طالما رددها ابن المقرئ وهى مسألة عقيدة الكرمانى ونجده هنا يذكر السلطان بدهمه السابقة في قتل الكرمانى ويقول له لو انكم حررتم حقه في ذلك التاريخ لكفيتهم شره .

لو كنتم امس ضربتم حقه لوال من دين الآله وحك  
ما فيه عند الآله ادخرت مثل دم الكرمان حين يسفك (١)  
الا ان ابن المقرئ يعود في مخاطبة الظاهر ويقول له بإمكانك الان ان تستدرك هذا الأمر وتقدم على قتله (٢)

والله ياخير الملوك انها عطية لكنها تستدرك

السيف في الكف وعندى العلماء يفتنون ان منه لا يترك

ومكذا يثير ابن المقرئ قضية ابن الكرمانى من جديد فيدعوا إلى قتله وقد شاركه في هذه الدهره جميع من الفقهاء يقول ابن الأمدل : (وجرى

(١) المصدر السابق ص

(٢) الأمدل : تحفة الزمن (مخطوط) .

(٣) المصدر السابق (مخطوط)

(٤) ، (٥) ديوان ابن المقرئ ص

في تلك غرض في مقام السلطان (١) فاستدعى إلى مدينة زييد وحقق الفقهاء  
جلس خاص به خبروه فيه بين التوبة أو القتل بالسيف فاختار الأول وقد انطلقه  
الشهادتين صديقة التقديم أمة على بن محمد فخر (٢) أما ابن روبك فذهب معه في هذه  
الأونة يدهوا إلى مناظر الرجلين ابن المقرئ والكرماني - ليدين أيهما على الحق  
فيجيبه ابن المقرئ قائلا هل يستوى الإيمان والكفر ومع هذا فستكون النتيجة  
في غير صالح صاحبه لو أن الملك الظاهر استجاب لطلب ابن روبك يقول  
ابن المقرئ :

قال ابن روبك فافظروا ما بينكم وبين عندك من عليه العمدة  
أترأه ظن الكفر كفوا للهدى فأراد يعرف أي قول أبيض  
لو أن ملك العالمين إجابة نعم ابن روبك واعتبرته الخبيثة (٣)

ويبدو أن الوشائات قد كثرت حول الكرماني في هذه الفترة ولم تعد  
محصورة في المجال الديني إذ تعدته إلى جانب السياسة وانهم بموالاته للناظر  
العباس بن إسماعيل الرسول أحد أفراد بيت الإمارة المطالبين بالحكم (٤) لما كان  
من صاحبنا الكرماني إلا أن فرج مجلدة سالما إلى جازان وظل بها مختفيا حتى  
وفاته سنة ٥٨٤٩ هـ

ويقول جامع ديوان ابن المقرئ أن ابن روبك شفع لابن الكرماني عند

(١) ابن الأثير : تلكه الزمن مضبوط

(٢) المصدر السابق .

(٣) ديوان ابن المقرئ ص .

(٤) أشار إلى توريته للورث يحيى بن الحسين في غايه الاماني ص ٥٧٣ وقال أنها  
حدثت سنة ٨٣٩ هـ أي بعد وفاة ابن المقرئ يستين ولكن يبدو أن هذه الثورة ليست هي  
الأولى فقد سبقها عدة محاولات بدليل أن ابن المقرئ قد إدرك فرار الكرماني كما يستتبع  
لنا فيها بعد .

السلطان وطلب منه أن يسمح له بمغادرة اليمن وقد كتب ابن المقرئ حول هذا  
الطلب قصيدة ساخرا فيها منه ساءتبتها هنا كاملة لصلتها بالموضوع الذي ندرسه :

الفسخ بطلب منكم الكرماني ليحج أو ليسح في البلدان  
قد كان صوفيا فليس بقاتن في بلدة مع أهلها القطنان  
بل راية التطواف من أرض إلى أرض ومن وطن إلى أوطان  
ولو أنه يهوى الإقامة بأرضكم لأقام فيها في نعيم جنان  
لكنه يخشى من الفقهاء ماء يفضاه كل طلا من الفؤاد  
فاذا رأى اليمن السعيد كجنة ألقى بها الفقهاء كالنيران  
وجميعه منهم أضرب عليه من حر الجحيم ومن جيم أن  
ومن أدهى منهم له حبا فما هو غير حب الهو القنوان  
وأولوا التفقه ليس يبرح عندهم لأولى التصوف أعظم القنان  
فتان مختلفتان جدا هذه مثل الضباب وتلك كالتيهان  
يحمى وطيس الحرب بينهما ولا طعن ولا ضرب ينجر لسان  
كل مكفر خصمه وبراء من حزب الضلال ووزمة الشيطان  
فترى الفقيه يرد للصوفي أن يفضى وكل غير ربي فاني  
ماحبر إسماعيل يقضى غير أن يفتوا الذييح عهد الكرماني  
كم رد إسحاق له أو ذبحه يدي عهد شاني  
مازال يسمى جامدا في قتله لا وايا منه ولا منوان  
ويهر الأشعار فيه محرضا فيها عليه لكل ذي سلطان  
ويذب أقوالا تبليغ سواريا منه إلى الأمراء والفلان  
ما هنا السلطان إلا بالهجاء فحمد ذلك الضمير العاني  
كم قال فيه أهاجيا وآق بها مدحا لكل خليفة ونهائي  
كم هصب الفقهاء عليه مبالغا في ذاك ذا جد وذا معان

في دولة النصور كان إباده  
قد كان شب عليه أعظم وفدة  
كانت لعمري وفدة مفضولة  
كادت تنهب بحرهما أرواحنا  
كم حرفت من صوف صوف ومل  
قد كان إسماعيل مسرهما ولم  
لكن وقاه الله عز جل جلاله  
والآن جدت هزيمته على  
هربا من القوم الأول يسمون في  
فامتن له بالفصح باملك الوري  
وإذا ن له بالسهر ينجر به  
من وقع كل مهتد وستان

## مراجع الكتاب

تقتصر هنا على أم المراجع التي رجعنا إليها في تأليف هذا الكتاب . وقد حذفنا لفظه . . أبو وابن من هذا الترتيب .

( ١ ) الأسنوى :

طبقات الشافعية طبع بغداد سنة ١٩٧٠ بتحقيق عبد الله الجبوري .

( ٢ ) ابن الأمير : محمد بن إسماعيل المتوفى سنة ١١٨٢ هـ .

ديوان ابن الأمير طبع في مصر سنة ١٩٦٤ م .

( ٣ ) أمينة أحمد :

ضمي الاسلام طبع في مصر سنة

فجر الاسلام طبع في مصر سنة

( ٤ ) الأهدل : عبد الرحمن بن حسين الأهدل المتوفى سنة ٨٥٥ هـ .

: تحفة الزمن بذكر سادات اليمن . مخطوط . .

: كشف الغطاء عن حقائق التوحيد وحقائق الموحدين وذکر

الائمة الأشعرية ومن خالفهم من المبتدعة وبيان حال

ابن عربي واتباعه المارقين . طبع في تونس سنة ١٩٦٤

بتحقيق الدكتور أحمد بكير .

( ٥ ) الأهدل : عبد الرحمن بن سليمان . المتوفى سنة ١٢٥٠ هـ .

النفس اليماني في أجازة القضاة بني الشراكاني . مخطوط .

- (١٥) الحامدي : صالح بن علي المتوفى سنة ١٣٨٧  
تاريخ حضر موت طبع جدة سنة ١٩٦٧ م
- (١٦) الحبشي : أحمد بن زين المتوفى في سنة ١١٤٥  
شرح العينية طبع دمشق سنة ١٣٩٣ هـ
- (١٧) الحبشي : عبد روس بن عمر المتوفى سنة ١٣١٤  
هقوق اللال باسايد الرجال طبع مصر سنة ١٩٦١
- (١٨) ابن حجر المصقلاني : أحمد بن علي المتوفى سنة ٨٥٦  
أبناء القمر بانبا العمر طبع مصر سنة ١٩٧١
- (١٩) الحضرمي : عبد الرحمن و معاصر  
جامعة الأشاعر طبع صنعاء سنة ١٩٧٤
- (٢٠) الخورجي : علي بن الحسن المتوفى سنة ٨١٢ هـ  
المقود المولوية في تاريخ الدولة الرسولية طبع مصر  
سنة ١٩١١ هـ طراز أعلام الزمن يذكر أعلام اليمن  
و منخطوط .
- (٢١) الذهبي : محمد بن أحمد المتوفى سنة ٥٧٤٨  
العبر في خبر من غير طبع الكويت ١٩٦٠ م
- (٢٢) ابن أبي الرجال : أحمد بن صالح المتوفى سنة ١٠٩٢  
مطلع البدور و مجمع البحور و منخطوط
- (٢٣) زباره : محمد بن يحيى المتوفى سنة ١٣٨٠  
ائمة اليمن في القرن الرابع عشر طبع مصر سنة ١٣٧٥  
نشر العرف لبلاء اليمن بعد الألف طبع مصر سنة ١٣٧٦
- (٢٤) الزبيدي : محمد المرتضى المتوفى سنة ١٢٠٥

- (٦) باخرمة : عبد الله و الطيب ، باخرمة المتوفى سنة ٩٤٧ هـ  
تاريخ نجر عدن . طبع لندن سنة ١٩٣٦ .
- (٧) باوزير : سعيد بن عوض و معاصر  
الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي . طبع مصر سنة ١٩٦١ هـ
- (٨) البريبي : من علماء التاسع الهجري  
تاريخ علماء اليمن و منخطوط .
- (٩) ابن بيران : محمد بن يحيى المتوفى سنة ٩٥٧  
الكشف البيان عن حال منصوفة الزمان و منخطوط .
- (١٠) البيهقي : محمد بن سالم المتوفى سنة ١٣٩٢ هـ  
أشعة الأنوار على مرويات الأخبار . طبع مصر سنة ١٣٩٣
- (١١) الجندي : بهاء الدين أبو عبد الله محمد بن يوسف المتوفى سنة ٧٣٢  
السلوك في طبقات العلماء والملوك و منخطوط .
- (١٢) ابن الجوزي : عبد الرحمن بن علي المتوفى سنة ٥٩٧  
صفة الصفوة . طبع الهند ١٣٨٩  
تليس إبليس . طبع بيروت
- (١٣) الجبلاني : عبد الكريم بن إبراهيم و من علماء القرن التاسع  
الانسان الكامل في معرفة الأوافر والأوائل . طبع القاهرة  
سنة ١٣٨٣ .
- (١٤) الرازي : أحمد بن عبد الله المتوفى بعد سنة ٤٦٠  
تاريخ صنعاء . طبع دمشق ١٩٧٤ بتحقيق الأستاذ حسن  
المصري .
- (١٥) حاجي خليفة : كشف القنون عن أسامي الكتب والفنون طبع تركيا  
سنة ١٩٤١ .

- تاج العروس شرح القاموس طبع مصر سنة ١٣٠٧  
اللمعة القدوسية بواسطة البعثة العبدوسية و منخطوط ،
- (٢٥) زوزور . عدنان و معاصر ،  
الحاكم الجعفي طبع بيروت
- (٢٦) الذركلي : نهر الدين و معاصر ،  
الاسلام طبع مصر سنة ١٩٥٧ وما بعدها
- (٢٧) زكي مبارك المتوفى سنة ١٩٥٢ م  
التصوف الاسلامي طبع مصر سنة ١٩٣٨ م
- (٢٨) لبكي : عبد الوهاب بن علي المتوفى سنة ٧٧١ هـ  
طبقات الشافعية طبع مصر سنة ١٣٢٤ هـ
- (٢٩) السخاوي : شمس الدين محمد بن أحمد المتوفى سنة ٩٠٢ هـ  
الضوء اللامع لاهبان القرن التاسع طبع مصر سنة ١٣٥٢
- (٣٠) السقايف : علي بن أبي بكر المتوفى سنة ٨٩٥ هـ  
الرقعة المشقة في ذكر الحرفة الاثنية وشيوخ الطريقة طبع  
مصر سنة ١٣٤٧
- (٣١) ابن عمره : عمر بن علي المتوفى سنة ٥٨٦ هـ  
طبقات فقهاء اليمن طبع مصر سنة ١٩٥٧ م بتحقيق الاستاذ  
عزاد سيد
- (٣٢) الشاطري : محمد بن أحمد و معاصر ،  
ادوار التاريخ الحضري نشر جده سنة ١٩٦٢ و ١٩٧٢
- (٣٣) الشرحي : أحمد بن أحمد بن عبد العلي المتوفى في سنة ٨٩٣ هـ  
طبقات الخواص أهل الصدق والاخلاص . وقد رمز له  
بالخواص طبع في مصر سنة ١٢٢١ هـ

- (٣٤) القل محمد بن أبي بكر المتوفى سنة ٦٠٩٣ هـ  
المفرغ الروي في مناقب السادة بن علي طبع مصر سنة ١٣١٩
- (٣٥) الشوكاني : محمد بن علي المتوفى سنة ١٢٥٠ هـ  
اليد الطالع الحسن من بعد القرن السابع طبع مصر سنة ١٣٤٧
- (٣٦) صافي حسن و معاصر ،  
الادب الصوفي في القرن السابع بمصر طبع مصر سنة ١٩٦٤
- (٣٧) العامري : يحيى بن أبي بكر الحرطي المتوفى سنة ٨٩٣ هـ  
غربال الزمان المفتوح بسيرة سيد ولد عدنان و منخطوط ،
- (٣٨) ابن عربي : عبيد الدين محمد بن علي المتوفى سنة  
الفتوحات المكية طبع مصر سنة ١٢٩٣
- فصوص الحكم طبع في مصر سنة ١٩٤٦
- (٣٩) عز الدين بن الحسن الإمام المتوفى سنة ٩٠٠ هـ  
كنز الرشاد و زاد المطاد طبع مصر سنة ١٣٤٦
- (٤٠) حمارة بن علي بن زيدان المتوفى سنة ٥٦٩ هـ  
المفيد في اخبار صنعاء وزيد طبع مصر سنة ١٩٦٥
- (٤١) العمري : شهاب الدين المتوفى سنة ٧٤٩ هـ  
مسالك الابصار في ممالك الاسلام فصله مستلة بتحقيق ابن السيد  
طبع القاهرة سنة ١٩٧٤
- (٤٢) العقيلي : محمد بن أحمد و معاصر ،  
من تاريخ الخلاف السلجاني طبع القاهرة سنة ١٩٥٨
- التصوف في نهضة جده سنة ١٩٦٤ م
- (٤٣) علي بن نور الدين المكي و للقرن الثاني هجر ،  
نزعة الجليل و منه الادب بالانيس طبع القاهرة سنة ١٢٩٣
- (٤٤) العبدوس : أبو بكر بن عبد الله المتوفى سنة ٩١٤ هـ



الجزء الطيف في التحكيم العرفي طبع القاهرة سنة ١٣٥٥

ديوان حجة السالك وصحة السالك طبع القاهرة سنة ١٣٥٥

(٤٥) البندروس : عبد القادر بن شيخ المتوفى سنة ١٠٣٨

نور السافر في اخبار القرن العاشر طبع بغداد سنة ١٩٣٤

(٤٦) البندروسى : عبد الرحمن بن محمد المتوفى سنة ١١١٢

ابناس الصغرى بأفلاس النهرو منطوط .

(٤٧) القرباني : إسماعيل بن مهدي ، معاصر .

نفس الرضى فيما لاحباب الله من طو الشأن طبع عدن

سنة ١٣٨٠

(٤٨) الفاسى : محمد بن أحمد المتوفى سنة ٨٢٢

المقد البنى في تاريخ البلد الامين طبع القاهرة سنة ١٩٦٣

بتحقيق الاستاذ سيد

(٤٩) القارى : المرشد إبراهيم بن عبد الله ، القرن التاسع ،

الدر البنى في مناقب الشيخ محي الدين طبع بيروت سنة ١٩٥٩

بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد .

(٥٠) القفاشى : أحمد بن محمد المتوفى سنة ١٠٧١

السط المجد طبع الهند سنة ١٩٠٩

(٥١) ماسنيون : حياء الحلاج بعد موته بحجة المورد الرافية العدد ٣ سنة ١٣٩٢

(٥٢) من : آدم : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع طبع بيروت سنة ١٣٨٧

(٥٣) الهبى : محمد أمين المتوفى سنة ١١١

خلاصة الامر في اعيان القرن الحادى عشر طبع مصر ١٢٨٤

(٥٤) المزجاجى : محمد بن محمد بن ابي القاسم المتوفى سنة ٨٢٩

هداية السالك إلى احدى المسالك ، منطوط .

(٥٥) المرى : أحمد بن عبد الله بن سليمان المتوفى سنة ٤٤٧

رسالة الغفران طبع بيروت

(٥٦) المطلى : أحمد بن محمد المتوفى سنة ١٢٧٨

ترويح الارقات في المقامرة بين القهوة والقات طبع القاهرة

سنة ١٩٧٥

(٥٧) المقبل : صالح بن مهدي المتوفى سنة ١١٠٨

العلم العامخ في أبناء الحق على الأبا والمفائخ طبع القاهرة

سنة ١٢٢٨ (٥٨) ابن المقرئ : إسماعيل بن أبي بكر المتوفى

سنة ٨٣٧

مجموع القاضي أبي الذبيح إسماعيل بن أبي بكر المقرئ

طبع الهند سنة ١٣٠٥

(٥٩) ابن المهدى : يحيى ، من علماء القرن الثامن ،

صلة الاخرن في حلية بركة أهل الزمن ، منطوط .

(٦٠) أبو نعيم : أحمد بن عبد الله الاصفهاني المتوفى سنة ٤٣٠

حليه الاولياء وطبقات الاصفيا طبع القاهرة سنة ١٩٣٣

(٦١) النعمى : حسين بن مهدي المتوفى سنة ١١٨٧

معارج الالباب طبع القاهرة سنة ١٣٧٠

(٦٢) النهى وإلى : محمد بن أحمد المتوفى سنة ٩٨٨

البرق اليماني في الفتح العثماني طبع بيروت بتحقيق

الشيخ حمد الجاسر سنة ١٩٦٧

(٦٣) الهدار : العلامة عبد الله بن أحمد المتوفى سنة ١٣٩٦

الجواهر في مناقب للشيخ ابي بكر تاج الاكابر طبع القاهرة

سنة ١٣٩١

## محتويات الكتاب

- (٦٤) الواحى : عهد الواحى المتوفى سنة ١٢٧٩  
 قرعة الهموم والخون في تاريخ اليمن طبع القاهرة سنة ١٩٤٧م  
 (٦٥) رطبوط : المعلم ( من علماء القرن التاسع )  
 تاريخ المعلم وطبوطه منطوطه  
 (٦٦) الباقى : عهد الله بن اسعد المتوفى سنة ٧٩٨  
 مرآة الخندان وعبدة البقطان في معرفة حوادث الزمان  
 طبع الهند سنة ١٢٣٧  
 روض الرباعين في حكايات الصالحين طبع القاهرة  
 (٦٧) يحيى بن الامام القائم بن محمد المتوفى سنة ١١٠٠  
 : غاية الاماني في اخبار القطر اليماني طبع القاهرة سنة ١٩٦٧  
 بهجة الزمن ذيل انباء الزمن منطوطه  
 (٦٨) يحيى بن حمزه : الإمام المتوفى سنة ٧٤٧  
 تصفية القلوب عن الاوزار والدنوب منطوطه

الصفحة	الموضوع
٩	تاريخ التصوف من خلال اعلامه
١٢	في القرن الخامس
١٢	في القرن السادس
١٣	في القرن السابع
١٦	في القرن الثامن
١٨	في القرن التاسع
١٩	في القرن العاشر
٢٠	في القرون الاخيرة
٢١	التصوف في تمامه
٢١	التصوف في الجبال
٢٢	التصوف في حضرموت
٢٤	شعائر الصوفية
٣١	السماع عند صوفية اليمن
٣٩	مقروط التصوف
٤٠	تاريخ التصوف الحياسى
٤١	تاريخ التصوفية في عهد بنى امية
٤٥	تاريخ التصوف في بنى رسول
٤٦	في عهد الملك المظفر

٤٨	في عهد المجاهد
٤٩	في عهد   الأفضل   الأحرار   القاصر
٥١	الصوفية والحكم العثماني
٥٣	الأئمة والصوفية
٥٩	الصوفية والدولة العثمانية
٦٧	مدرسة ابن عربي في التصوف اليمني
٧٠	مدرسة ابن عربي في اليمن
٧٧	اتباع ابن عربي في القرن التاسع
٨٣	الفرق بين الفقهاء والصوفية اليمن
١٠٩	أحداث النزاع التاريخية
١١١	للمرحلة الأولى
١١٧	المرحلة الثانية
١١٩	مراحل النزاع الأخيرة
١٤٢	محنة الفقهاء
١٥٤	موت الملك الناصر وتحسن حالة الفقهاء
١٥٩	إصدار الكرماني
١٦٤	مولي الملك الظاهر وانتصار الفقهاء
١٦٩	مراجع الكتاب

## الحفظ والصواب

صواب	خطأ	صفحة
الروائي	الوارثي	٢٦
المشيخة	البينة	٢٧
عمومهم	عمومة	٢٩
نوع من العمومة	نوع العمومة	٤٠
حاكا سلباً	حاكم السلب	٥٠
يحمي	يحيى	٥٦
أن	ابن	٧١
وربما	وبما	٧٤
بثوا	بثو	٨٠
ولهمهم	اياس وغيرهم	٩٤
المعماني	المعمواني	٩٦
المكلفين	المتكلفين	٩٧
الصوفية	الفقهاء	٩٨
سابق	لاحق	١١٩
لا وجود لها	وقفت	١٢٧
يستزى	يستزى	١٤١
تكفر	تكفر	١٤٣
المساع	المساع	١٤٤

رقم الابداع بدار الكتب  
م ١٩٧٦ / ٣٧٨٤

صفحة	خط	صواب
١٤٨	مجازة	مجازة
١٤٨	لا أصل له	هـ
١٤٩	ما بين	ما بين
١٤٩	فان من هذا كله	فان هناك رجال تحمل بهم المفكرات يستطيعون فهم ما يقصده ابن عربي وغيره لك من هذا كله
١٤٨	وتقوى	وتقوى
١٥٩	الرمكانى	الكرمانى
١٦٢	الادب	الادب
١٦٣	الحسن	الحصن
١٦٤	وعاش	وعارض
١٦٥	ومضى	ومضى
١٦٦	اب	الفتية
١٦٦	الى متأخر	الى متأخرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين



# الصُّوفِيَّةُ وَالْفُقَرَاءُ

في اليَمَن



تأليف  
عبد الله محمد الحبشي

مكتبة الجيل الجديد

اليمن - صنعاء

هاتف : ٢٠٧٦٩٨ - فاكس : ٢٠٧٨٧٢ - ٤٠٩١٥٩

ص.ب. ٥٤٤١ - صنعاء

[aljeel@y.net.ye](mailto:aljeel@y.net.ye)

[www.aljeel-aljadeed.com](http://www.aljeel-aljadeed.com)

مجموعة الجيل الجديد



86080072

اسمها ونقدها في اول  
الصفحة : 350 ريال